الفرع الاول

مجلس طلاب الفرع

مسودة غير مكتملة لكتاب الجغرافيا السياسية

د.عصام إسماعيل

٢٠١٠-٢٠١١

مقدمة:

الجغرافيا السياسية، هي كلمة مؤلفة من كلمتين، هما الجغرافيا والسياسة، لذا أول خطوة في دراسة هذه المادة هي البدء بتعريف الجغرافيا وتعريف السياسة، لننطلق بعدها في ولوج مادة الجغرافيا السياسية.

فالجغرافيا هي علم دراسة الارض والظواهر الطبيعية والبشرية عليها، ويعود أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية، geographica، وهي كلمة مؤلفة من شقين: أولها Geo ويعني الأرض، وثانيهما Graphica ويعني الوصف أو الصورة، أي أن الجغرافيا ترجمتها بالعربية "وصف الأرض. وفي القديم كان هذا المعنى هو المنطبق على هذا العلم، حيث كان الرحالة يصفون و يسجلون مشاهداتهم عن البلاد و الأقاليم التي يزورونها .

وبعد ذلك ظهرت مدارس عديدة لدراسة الجغرافيا، نذكر منها المدرسة الإيكولوجية التي تعرِّف الجغرافيا بأنها دراسة مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان من تضاريس، ومناخ، وغطاء نباتي، وكذلك المسطحات المائية البحرية والمحيطية. وكذلك البنية الجيولوجية والظواهر الجوية و النبات و الحيوان الطبيعي أو البري. ومنها أيضاً الجغرافيا الفلكية وتهتم بدراسة شكل الأرض وحجمها وحركتها وكرويتها وعلاقاتها بالكواكب الأخرى.

أما السياسة لغوياً، فهي مشتقة من سَاسَ ويَسُوسُ. أي ينصرف إلى معالجة الأمور، وهي العملية التي تستطيع من خلالها الجماعة اتخاذ قرارات جماعية[١]، أو هي ما له علاقة بفن حكم الدولة [٢]، وتستخدم للدلالة على تسيير أمور أي جماعة و قيادتها و معرفة كيفية التوفيق بين التوجهات الإنسانية المختلفة و التفاعلات بين أفراد المجتمع الواحد بما فيها

---

[١] أوليفيه دوهاميل- أيف ميني – المعجم الدستوري- ترجمة منصور القاضي- منشورات مجد ١٩٩٦ ص ٧٤١.

[٢] محمد المجذوب- محاضرات في علم السياسة- الجامعة اللبنانية – كلية الحقوق- السنة الجامعية ١٩٦٤ ص١٩.

التجمعات الدينية و الأكاديميات و المنظمات . وتعرف السياسة بكيفية توزع القوة والنفوذ بمجتمع ما أو نظام معين. وتناط بالحكومة صناعة القرارات لحل المشاكل أو توزيع المنافع والامتيازات. (وقد ذكرت المادة ٦٥ من الدستور اللبناني أن الحكومة هي التي تضع السياسة العامة في البلاد).

وبهذا أصبحت الجغرافيا السياسية، هي علم وصف المكونات الأرضية وكيفية تأثيرها في عملية صنع القرار أو بإدارة البلاد وفقاً لإمكاناتها الجغرافية. ومن مقارنة خارطة سياسية وخارطة طبيعية نستطيع أن نبدأ بتصور ماهية الجغرافيا السياسية. (رقم ١ : خارطة العالم الطبيعية والسياسية، ورقم ٢: خارطة لبنان الطبيعية والسياسية).

تعتمد الجغرافيا السياسية على عناصر البيئة الجغرافية في تفسير خصائص الوحدات السياسية من حيث قوتها، أو ضعفها، استقرارها أو تفككها. كما تهتم بدراسة التفاعل بين المنطقة الجغرافية والعملية السياسية وعلاقتها المكانية. وهي تعالج أيضاً النمط السياسي للعالم، وهو نمط معقد إلى حد كبير، بسبب التجزئة المتباينة لسطح الأرض إلى وحدات سياسية تتفاوت في الحجم المساحي والسكاني تفاوتاً كبيراً، وتغير الأنماط السياسية في حدودها، ومقوماتها، ومشكلاتها الناجمة عن تفاعل الإنسان ببيئته مما ينعكس على أوضاعها الداخلية وعلاقتها الخارجية، وتهتم الجغرافيا السياسية في هذا المجال بمواكبة مظاهر التحول في رقعة الوحدات السياسية، وسكانها، ومواردها، وعلاقتها بالدول الأخرى، لذا فهي تتصل بعلوم أخرى عديدة تتضافر كلها لتحليل القوة الجغرافية طبيعياً وحضارياً واقتصادياً، وتحديد علاقتها المتشعبة في المكان والزمان.

الجغرافيا، هي منذ بضع عقود مهددة بأن تتمزق أو تتوزع على علوم الأرض والعلوم الإنسانية، ورغم ذلك، فالجغرافيا لا غنى عنها ضمن معارف الإنسان المثقف. هذا الانتظام هو الذي يحكم التفاعل بين الإنسان والطبيعة. والجغرافيا اليوم تعيد التموضع كعلم ما بين الجيولوجيا وعلم المناخ، والاجتماع والاقتصاد، وعلم السكان،.. . واهمية الجغرافيا هي أكبر

فيما خصَّ العلاقات الدولية، حيث نعالج التفاعل بين المجتمعات البشرية المتصلة جغرافياً. وأيضاً فهناك السياسة، ومصطلح السياسة يستخدم ليشير إلى الشيء العام، أي مصلحة الوحدة السياسية بمجموعها[١]. وضمن هذه الوحدة السياسية، ونموذجها الدولة، فإن أراضي الدولة، تُطرح بقوة في كل المنازعات السياسية التي تقف الوحدة السياسية في مواجهتها. أما على صعيد المنازعات الدولية، فإقليم الدولة يلعب أيضاً دوراً معتبراً، لأنها دائماً تقحم أو تكون محل الصراع بين الوحدات السياسية. لهذا كانت لاتساع رقعة الاقليم وبعده الجغرافي الدور الأساسي والمحوري. وهذا هو أساس الجغرافيا السياسية.

فالمشكلة تكون ذات صلة بالجغرافيا السياسية، إذا كانت المنازعات المتصلة بأقليم الدولة جغرافياً، من هنا تعرَّف الجغرافيا السياسية، بأنها المجال الواسع جداً، حتى ولو لم تشتمل على كل المنازعات الدولية، كتسيير النظام المالي الدولي وتبديل العملة ما بين الدولار واليورو هي حكماً موضوعات لا تدخل ضمن نطاق الجغرافيا السياسية[٢].

رأينا أن الجغرافيا السياسية تستمد اسمها من الجغرافيا وصفتها من السياسة، ومن ثم فهي على صلة وثيقة بالعلوم السياسية. لأنها تهتم بدراسة التفاعل بين الظاهرة السياسية وبين العوامل الجغرافية في مكان ما، أي أن الجغرافيا السياسية تمثل همزة الوصل بين الجغرافيا من ناحية والعلوم السياسية من ناحية أخرى. لكن هناك فارق بين الباحث في العلوم السياسية والباحث في الجغرافيا السياسية، فالجغرافي يهتم بالمكان الذي تشغله الوحدة السياسية وموقعها الجغرافي ومصادر الثروة الطبيعية والبشرية فيها وعناصر سكانها. أما السياسي فلا يهتم إلا بالسياسة ونظم الحكم ونظريات السياسة وما يتعلق بها.

وكذلك هناك صلة وثيقة بين الجغرافيا السياسية وعلم العلاقات الدولية. إذ لا يمكن تفسير علاقة دولة بدول أخر دون الرجوع إلى البيئة الجغرافية لكل منهما. إضافة إلى أن كثيراً من

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Puf 2 éme éd. 2008 p5.

(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 19.

أسس العلاقات الدولية هي نفسها موضوعات في الجغرافيا السياسية، فكلا العلمين يهتم بدراسة السياسة الخارجية للدول بخاصة لناحية المنازعات الحدودية، أو الرغبة في إيجاد منافذ بحرية.. ، وتوازن القوى بخاصة لناحية العلاقة بين الدول المجاورة أو لناحية المستعمرات وإيجاد القواعد خارج الحدود..، والمنظمات العالمية والإقليمية، والمعاهدات المتنوعة، والإستراتيجية العسكرية...

كذلك تمثِّل الجغرافيا السياسية خط التماس مع صانع القرار السياسي والقائد العسكري في توجيه سياسة الدولة، وعلاقاتها الخارجية. وذلك لأن موضوع الجغرافيا السياسية، هو الوحدات السياسية.. ويقصد بها كل ما يقع تحت التقسيم السياسي سواء كان مقاطعة أو مستعمرة أو محمية أو دولة أو دولة اتحادية أو ولايات متحدة أو إمبراطوريات. أي المساحات الأرضية التي تقطنها جماعة جماعات بشرية منظمة تنظيماً سياسياً.

من خلال هذه المقدمات نخلص لتعريف الجغرافيا السياسية بالعلم الذي يبحث في تأثير الجغرافيا على السياسة أي الطريقة التي تؤثر بها المساحة، والتضاريس والمناخ على أحوال الدول والناس. فبسبب الجغرافيا كانت أثينا إمبراطورية بحرية، وبسببها أيضا كانت إسبرطة أقرب في طبيعتها إلى القوة البرية. وبسبب الجغرافيا أيضا، تمتعت الجزيرة البريطانية في القرن الثامن عشر بحرية الملاحة في البحار.

الفصل الأول:
نظرة عامة حول الجغرافيا السياسية

ينصب اهتمام الجغرافيا السياسية على دراسة الوحدات السياسية الفاعلة أي الدول، وتبيان السمة الخاصة لكلٍ منها، إذ لكل دولة سمات اقتصادية واجتماعية ونظام سياسي خاص، تعمل ضمن حدودٍ جغرافية محددة ومعترف بها دولياً. ومن هنا اتفق الفلاسفة والعلماء على أن لأي دولة مقومات أساسية هي الأرض والشعب والسلطة. وهي تُعنى بدراسة الحياة السياسية للمجتمعات ضمن الحدود الجغرافية للدولة، وتعيين الطريقة التي يجري من خلالها تقييم دور التربة والهواء والمياه وعلاقتها بنشاط الإنسان.

وإذا كانت الجغرافيا هي علم المساحات، فإن الجغرافيا السياسية هي علم المساحات السياسية، أو هي دراسة الدولة كخاصية مساحية في علاقتها مع الخصائص المساحية الأخرى من طبيعية أو بيولوجية أو ثقافية، أو هي دراسة الاختلافات والتشابهات المساحية من منظورٍ سياسي[1]. فاهتمام الجغرافيا السياسية هو بالأرض أكثر من السياسة. وهي تهدف للرخاء والسلام بين الدول وليس للمباهاة وإثارة المشكلات ودق طبول الحرب بين الدول.

الفقرة الأولى: تعريف الجغرافيا السياسية وتمييزها عن مصطلحات مشابهة

أولاً: تعريف الجغرافيا السياسية

ذكرنا بأن الجغرافيا السياسية تولي اهتمامها بدراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كظاهرات على سطح الأرض، ودرس مقومات وجودها وتطورها معتمدة علي خصائص البيئة الجغرافية من حيث قوتها أو ضعفها واستقرارها أو تفككها. كما ذكرنا بأن الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة النظم السياسية، وأنها تعالج النمط السياسي للعالم الذي هو نمط معقد إلى حد كبير بسبب التجزئة المتباينة لسطح الأرض إلي وحدات سياسية تتفاوت في الحجم المساحي والسكاني تفاوتاً كبيراً، وتغير الأنماط السياسية في حدودها ومقوماتها ومشكلاتها الناجمة

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٨.

عن التفاعل الإنسان ببيئته مما ينعكس علي أوضاعها الداخلية وعلاقتها الخارجية. وأنها تتهم بمواكبة مظاهر التحول في رقعة الوحدات السياسية وسكانها ومواردها وعلاقتها بالدول الأخرى، لذا فهي تتصل بعلوم أخرى عديدة تتضافر كلها لتحليل القوة الجغرافية طبيعياً وحضارياً واقتصادياً وتحديد علاقتها المتشبعة في المكان والزمان (التاريخ –الإنسان والزمان والمكان). ومن خلال هذا التحديد لموضوعات الجغرافيا السياسية، جرى وضع تعريفات عديدة للجغرافيا السياسية نذكر بعضها كالآتي:

الجغرافيا السياسية هي العلم الذي يدرس الأرض بوصفها وطناً للإنسان فموضوع علم الجغرافيا هي" الأرض " لا لذاتها ، وإنما من حيث هي وطن "الإنسان " ومن ثم كان أهم تطبيق يدور حولهما البحث في الجغرافيا هما " الأرض "" والإنسان". فعرَّف هارتس هورن Hartsharne عام ١٩٣٥ الجغرافيا السياسية على أنها علم دراسة الدولة كمساحة متغيرة بالنسبة لغيرها من المساحات المتميزة الأخرى[١].

وفي العام ١٩٦٥ عرَّفت أكاديمية العلوم في واشنطن، الجغرافيا السياسية بأنها العلم الذي يهتم بدراسة التفاعل الذي يوجد بين المساحات الجغرافية والعمليات السياسية .

ومن التعاريف المتداولة، نذكر التعريف الذي يصف الجغرافيا السياسية بانها علم دراسة الدول، تختص بدراسة الارتباط بين المساحات الأرضية والدولة (الأرض – الدولة) ثم بين الدولة وغيرها من الدول.

كما عرِّفت الجغرافيا السياسية بأنها دراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كظاهرات على سطح الأرض ، وما تشتمل عليه هذه الوحدات من شعوب وجماعات ، ويتوقف امتداد هذه الأقاليم وطبيعتها على تباين الظاهرات السياسية التي تسود العالم ، ففي بعض جهات من العالم ، نجد أن الأقاليم السياسية لها صفة الاستقرار النسبي لمدة زمنية طويلة ، بينما

---

[1]Richard Hartshorne, Recent Developments in Political geography American science Review. XX1X December, 1935, P. 957.

نجدها في جهات أخرى من العالم يصيبها تغيرات سريعة – وبدراسة الظاهرات السياسية " نتاج البشر" وارتباطها بظاهرات سطح الأرض "نتاج الطبيعة" يمكن للباحث الجغرافي أن يحلل ويعلل الطرق المختلفة التي نظم بها الإنسان في هذه الأرض إلى أنماط سياسية[١].

وجرى تعريف الجغرافيا السياسية بأنها العلم الذي يهتم بدراسة تكوين الدولة وسياستها وقوتها. أو هي دراسة أثر العوامل الجغرافية في إحداث المتغيرات السياسية[٢]. وإذا كانت الجغرافيا هي علم المساحات، فإن الجغرافيا السياسية هي علم المساحات السياسية، أو هي دراسة الدولة كخاصية مساحية في علاقتها مع الخصائص المساحية الأخرى من طبيعية أو بيولوجية أو ثقافية، أو هي دراسة الاختلافات والتشابهات المساحية من منظورٍ سياسي[٣].

وبهذا أصبحت الجغرافيا السياسية، هي علم وصف المكونات الأرضية وكيفية تأثيرها في عملية صنع القرار أو بإدارة البلاد وفقاً لإمكاناتها الجغرافية.

ثانياً: تمييز الجغرافيا السياسية عن مصطلحات مشابهة

١- الجيوبولتيكا

مصطلح جيوبولتيكا تعبير مركب من مقطعين Geo وتعني الأرض، Politic ومعناها سياسية، وعلى ذلك تعني الجيوبولتيكا "علم سياسة الأرض". وهو ثمرة لعلمي الجغرافيا والسياسة. ويهتم بدراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة.

وضع اللواء الألماني النازي كارل هوسهوفر، تعريفاً للجيوبوليتيكا، بأنها العلم الذي يبحث في طبيعة العلاقة المصيرية القائمة بين الدولة ومجالها الحيوي، وبأن الجيوبولتيكا هي العلم الذي يساعد الدولة في الحصول على المجال الحيوي الذي تنشده. وهو مفهوم يقوم، كما

---

(١) محمد عبد الغني سعودي ، الجغرافيا والمشكلات الدولية ، المكتبة النموذجية القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢ ، ٣.
(٢) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٧.
(٣) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٨.

سبق القول، على الفكرة التي تقول بأن الدولة كائن حي قابل للنمو باستمرار، وبأن الدولة أمام خيارين لا ثالث لهما فهي إما أن تكبر وتتسع أو تهلك وتموت.

فالجيوبوليتيك هي نطاق العقائد والمذاهب الفكرية ذات الصلة بالإقليم. ووفقاً لهذه النظرية، فإنه في مجال السياسة الدولية يعكس كل فعلٍ أو تصرف من خلال وظيفة إبراز تمثيلي للإقليم. فمثلاً إن نشأة كل من يوغسلافيا وتشيكوسولفاكيا في العام ١٩١٨، كانوا بمثابة الخاتمة للتطور أو للسياق العقائدي الذي جمع كل قومية البانسلافيسم (panslavisme)، ونشأة الاتحاد الأوربي كان أيضاً محاولة لإنجاز مشروع إيديولوجي[١].

نما علم الجيوبوليتيك في ظروف عسكرية وارتبط بالحرب ارتباطاً وثيقاً، إذ أدّت الظروف الحربية والاستعدادات العسكرية، في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، دوراً كبيراً في ميلاد هذا العلم، وبقيام الحرب العالمية الثانية، صعدت الجيوبولتيكا إلى مصاف العلوم الرفيعة، لأنها كانت ترسم الطريق لتحقيق المصالح القومية للدولة بطريقة ذاتية، وتساعد رجال السياسة وضباط الجيش في اتخاذ القرارات السياسية والإستراتيجية.

تختص الجيوبولتيكا بدراسة الدولة من الوجهة السياسية، وتدرس العلاقات الداخلية والخارجية بين الأرض وسكانها من وجهة نظر قومية وذاتية، وتبحث السياسة العالمية من وجهة نظر قومية وتعتنق فلسفة القوة، وأن الضرورة لا تعرف قانوناً، وتستخدم التاريخ القومي والعالمي لخدمة هذه الأغراض. أي أن الجيوبولتيكا علم سياسي يستمد جذوره من علم الجغرافيا وحقائقه المتشعبة، ويعمل على الإفادة منها لخدمة خطط سياسية معينة يتبناها صانعو السياسة وصانع القرار في الدولة.

لذا قيل بأن الجيوبوليتيك هي جزء من الجغرافيا السياسية، وهي الجزء النفسي منها، لكن هناك جانب خاص، يطرح التساؤل حول صورٍ متقابلة تبثها الوحدات السياسية الواحدة في علاقتها مع الأخرى. حيث يوجد تقسيم للأنسنة ، فنحن المجموعة التي تشكِّل الوحدة

---

[1] Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 20.

السياسية، والآخرون هم أجانب همجيون فيما وراء الحدود. وبالواقع فإن الجهل هو الحقيقة الأساس في الحياة الدولية، فمثلاً من كان يعرف الشيشانيين قبل سقوط الاتحاد السوفياتي، ومن يعرف عنهم اليوم؟.

إن التعبير المعاصر "كليشة" "نموذج صورة" هو مصطلح معبِّر حيث تتمثل الأفكار على أن أحدها بالنسبة للأخرى كأنها أصناف لكتبٍ من الصور، قليلة أو كثيرة السماكة وفقاً لدرجة السفسطة التي تحويها. وتحاول هذه الصور أن تحمل تقديماً منطقياً لأقاليم مشوهةً بصورة واسعة[١].

ولا يجوز أن نتجاهل بأن الجغرافيا السياسية قد برزت بنهاية القرن التاسع عشر على يد بعض الكتاب أمثال الألماني فرديريك راتزل، ولكن سريعاً ما ذاب هذا العلم في بدايات القرن العشرين في ما يسمى بالجيوبوليتيك. ولقد تثبتت هذه النظرية بواسطة البافاري كارل هوشفر، والفرنسي بول فيدال دو لا بلاش وجاك انسل. ولكن الجيوبوليتيكية الألمانية سرعان ما أصبحت أداةً في الدعاية لخدمة النازية. لهذا السبب فإن مصطلح جيوسياسية توقف عن الاستخدام بعد العام ١٩٤٥، ولم يعد إلى الظهور إلا في العام ١٩٨٠. واليوم فإن الاستخدام المفرط لمصطلح جيوبوليتيك، قد أصبح موازياً لاستعمال مصطلح جيوستراتيجا[٢].

وهناك فروق كثيرة بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا أهمها:

١. أن الجيوبولتيكا ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة، بينما تدرس الجغرافيا السياسية كيان الدولة الجغرافي بعناصره المختلفة.

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 21.
(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 21.

٢. أن الجيوبولتيكا تضع تصوراً لحالة الدولة في المستقبل، بينما تقنع الجغرافيا السياسية برسم صورة الحاضر في ضوء الماضي.
٣. أن الجيوبولتيكا تتسم بالتطور والحركة، بينما تميل الجغرافيا السياسية إلى الثبات.
٤. أن الجيوبولتيكا تحاول وضع الجغرافيا وحقائقها في خدمة الدولة (أي لتحقيق أغراضها في مجالها الحيوي حتى لو كان ذلك على حساب جيرانها)، بينما الجغرافيا السياسية ليست سوى صورة للدولة (أي هي تحليل القوة في بناء الدولة السياسي).
٥. إن الجغرافيا السياسية هي موضع اهتمام العامة، بينما الجيوبوليتك هي محل اهتمام الساسة، إذ ظهر شعار أنه :"لا بد أن يفكر رجل الشارع جغرافياً وأن يفكر الساسة جيوبوليتيكياً".
٦. تدرس الجغرافيا السياسية الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما الجيوبوليتيك تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتى ولو كان وراء الحدود . وبينما تشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع فإن الجيوبوليتيك تكرس أهدافها للمستقبل، من زحزحة الحدود إلى تزييف الخرائط.

٢- الاستراتيجية:

إستراتيجية ترجع في الأصل إلى الكلمة اليونانية Strategos، ومعناها فن قيادة الجيوش، غير أن اللفظ تطور مع تطور الزمن فعرفها ليدل هارت بأنها فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف سياسية. وعرفها كل من لويس بلتير Louis Peltier،

وايتزل بيرسي Etzel Pearcy، بأنها الاستخدام العلمي لطاقة القوى المتاحة للقائد في تحقيق أهداف عسكرية أو أهداف سياسية بالطرق العسكرية[١].

تُعرف الإستراتيجية الوطنية بأنها، فن تخطيط وتنسيق، وتوجيه، كافة الموارد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، لتحقيق المصالح الوطنية والمحافظة عليها. وهناك فرق بين الإستراتيجية الوطنية والإستراتيجية العسكرية، فالأولى تمثل الدولة، بينما تمثل الثانية إحدى هيئات الحكومة التنفيذية، وتحقيق الأهداف التي تحددها الإستراتيجية الوطنية سواءً كانت دفاعية لحماية الأرض أو هجومية لاحتلال أرض.

وقد يختلط مفهوم الاستراتيجية بمستواها الاعلى _اي الاستراتيجية العليا الشاملة _ بمفهوم السياسة او قد يختلط مفهوم الاستراتيجية بمستواها الادنى أي الاستراتيجية العسكرية او العملياتية _بمفهوم التكتيك او اللوجستيك.

فالسياسة هي التي ترسم وتحدد الهدف الذي تسعى الامة او الدولة لتحقيقه سواء بالسبل العسكرية او سواها ، في حين تعتبر الاستراتيجية العليا الاداة التنفيذية للسياسة اي انها السياسة في مرحلة التنفيذ او السياسة في مرحلة الحركة العنيفة او القابلة للعنف.

ولا يعني هذا ان الحل العسكري هو الحل الوحيد او الوسيلة اليتيمة امام الاستراتيجية لتحقيق هدف السياسة بل ثمة وسائل وسبل اخرى سياسية واقتصادية ونفسية ودبلوماسية تسلكها الاستراتيجية للوصول للهدف وان كان سبيل القوة العسكرية هو الأكثر قوة وحسما و الذي يلجأ اليه في نهاية المطاف عادة .

وتختلف الاستراتيجية العسكرية عن التكتيك واللوجستيك في ان التكتيك (فن استخدام الاسلحة في المعركة للوصول إلى المردود الاقصى) كما يقول اندريه بوفر او (عملية

---

[1]http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography11/geography/sec254.doc_cvt.htm.

اشتباك)كما يقول باليت ، اي ان حدوده محصورة في الاجراءات و التدابير التي تتخذها القيادة الميدانية على مسرح المعركة اي انه فن القتال في الميدان .

اما اللوجستيك (الشؤون الادارية) فهي علم تجهيز وادامة القطعات اي علم (الحركة والتموين) و هي مع التكتيك تؤمن (تحقيق التعامن المتبادل بين العوامل المادية ويتصفان معا بصفات علمية واقعية تجعلهما مشابهين لفن الهندسة).

اما الاستراتيجية العسكرية فهي فن توزيع واستخدام الامكانات والوسائل العسكرية المختلفة لتحقيق هدف السياسة بالطريقة المثلى التي تؤمن التوائم بين الامكانات و الهدف وتحقيق اقل قدر من المقاومة لنخططها باستخدام عامل المناورة، ويكون التكتيك عادة احدى الوسائل التي تستخدمها الاستراتيجية العسكرية لتحقيق هدفها[1].

ويجب لضمان نجاح الاستراتيجية تكامل كافة الخطط الاستراتيجيات المختلفة كي تؤدي مجتمعة ومتضافرة إلى تحقيق الهدف العام للسياسة. وضماناً لهذا التكامل والتضافر فقد وضعت الاستراتيجية العليا أو الشاملة على قمة الهرم الاستراتيجي واعتبرت السلطة العليا في الدولة هي المسؤولة عن وضعها وتوجيهها.

تختلف الاستراتيجية العليا في الدولة من حيث السلطة القائمة عليها ومن حيث مستواها ومداها ووسائلها . فالقيادة السياسية العليا في الدولة هي التي تتولى الاستراتيجية العليا في حين تعتبر الاستراتيجية العسكرية ضمن نطاق النشاط العملي للقيادة العسكرية العليا .

و الاستراتيجية العليا هي التي تقدر وتنمي وتحشد كافة الامكانات والطاقات الاقتصادية والبشرية والعسكرية والمؤازرة وسواها من قوى الضغط للتأثير على عزيمة الخصم ومعنوياته وإرادته لإجباره على الخضوع والتسليم وبالتالي تحقيق أهداف السياسة أو البعض منها. وهي تحدد كافة المهام والادوار لمختلف الاستراتيجيات العامة من سياسية واقتصادية واجتماعية

---

(1) Thierry de Montbrial & Jean Klein- Dictionnaire de la Stratégie, PUF 3eme ed 2007 p432.

ودبلوماسية وعسكرية، وتؤمن توافقها وانسجامها. وهي تتولى كذلك وتعالج كافة مراحل الصراع السابقة والمواكبة واللاحقة للحرب وتؤمن التوافق بين شتى وسائط وأسلحة الصراع و تنظم استخدامها وتوجيهها. وربما خططت أيضاً لاقامة سلام وطيد يعقب مرحلة الصراع بنفي كل المؤثرات وازالة الاثار التي تحول دون ذلك.

أما الاستراتيجية العسكرية فهي تختص بمرحلة الصراع المسلح أي أن مداها ونطاقها محدودٌ بالحرب، في حين تنحصر مهمتها في معالجة قضايا توزيع واسخدام الوسائل والامكانات العسكرية لتحقيق هدف الاستراتيجية العليا معتمدة في ذلك على التقدير السليم والموائمة الناجحة بين وسائلها وامكاناتها وبين غاياتها[1].

فالاستراتيجية العسكرية هي أداة الاستراتيجية العليا لإحراز النصر في ميدان القتال وتحقيق هدف السياسة وهي تابعة لها تعمل وفق مخططها ومنهجها وفي تطبيقها العملي على مستوىً أدنى وهي تشكل الوجه التنفيذي لسياسة القوة. ونعنمد الاستراتيجية العسكرية في سبيل تحقيق النجاح إلى محاولة اختزال امكانات المقاومة المعادية إلى الحد الأدنى للوصول إلى هدفها باقصر وأيسر السبل وأقلها تكلفة، مدرعة بدراسة عميقة وتقدير سليم لعوامل الزمان والمكان والقدرات المادية والمعنوية المشكلة للوضع الاستراتيجي وبفهم حقيقي لأهدافها ومتسلحة بعاملي الحركة والمفاجأة اللذين يشكلان معاً عنصر المناورة الاستراتيجية التي تحدد تتابع العوامل وعلاقات الأوضاع المتعاقبة. حيث ان المناورة هي العامل الموجه والمحرك لبقية العوامل و المعبر عن الصراع المجرد بين إرادات الخصوم على شكل أفعال وردود أفعال متعاقبة .

٣- الجيوستراتيجية

---

(1) Thierry de Montbrial & Jean Klein- Dictionnaire de la Stratégie, PUF 3eme ed 2007 p535.

الاستراتيجية هي القسم الأعلى في النشاط العسكري. وهي تعرَّف بأنها الوصول إلى الأهداف بأقل الكلفة الممكنة. ولتحقيق هدف، يتوجب تذليل العوائق التي تنتج عن الاستراتيجة التي تخطها القوة المعادية. وهو ما يسمى بتواجه المختلفين.

تطور مفهوم الاستراتيجية، بصورة شبه حصرية في المجال العسكري، ولكن بخلال السنوات الأخيرة، انتقل استعمال هذا المصطلح إلى مجال مجموع الأنشطة المتشابكة. فكل وحدة فاعلة لكي تصل لأهدافها يجب أن تطور استراتيجياتها. لهذا تسمى بأنها الاستخدام الحاذق للسلطات (أي تحريك بأقل كلفة للموارد وفقاً للخطة أو الاتجاه المرسوم).

وفي الحقل العسكري فإن للمعطيات الجغرافيا الدور البارز، فلقد برهن المستشرق غاستون ماسبيرو، بأن المعارك الكبرى في العصور القديمة في الشرق الأوسط قد وقعت في ذات الأماكن. وهذا ما يفيد في استخلاص معنى الجيو استراتيجية.

الاستراتيجية هي فن أو علم استخدام تحريك القوات بغية الوصول إلى أهداف محددة في السياسة[١].

الجيوستراتيجية هي فرع من الاستراتيجية العامة التي ترعى العمليات في النطاق الجغرافي المتعدد (Macrogéographique) ، أي ذات أبعاد مكانية كافية لاستبعاد وجود المسرح العملاني الواحد. فموضوعها الخاص هو تحقيق التناسق الاستراتيجي واللوجستي فيما بين المسارح المختلفة. فالتنسيق الاستراتيجي يواجه الأثر الناجم عن عمليات مسرح معين على بقية المسارح. أما التنسيق اللوجستي فيؤمن انتقال القوات بين المسارح المتعددة[٢]. يُظهر الحيِّز الاستراتيجي للأثر الذي ينتج عن العمليات في أحد المسارح على المسارح الأخرى.

---

(1) Thierry de Montbrial & Jean Klein- Dictionnaire de la Stratégie, PUF 3eme ed 2007 p433.

(2) Thierry de Montbrial & Jean Klein- Dictionnaire de la Stratégie, PUF 3eme ed 2007 p268.

وهذا ما يسمى بالتبعية المتداخلة بين المسارح. والتنسيق اللوجستي فيما خصَّ نقل القوات بين هذه المسارح.

وباحتصار نقول بأن التكتيك هو الربط بين الأسلحة

الاستراتيجية العملانية هي تحريك القوات على مسرح محدد.

الجيواستراتيجية فهي التنسيق بين مسارح متعددة.

ويمكن أن ننقل مفاهيم الاستراتيجية لموضوعات أخرى غير عسكرية. فالمؤسسات الكبرى لها مساح عمليات حقيقية. ولكلٍ منها استراتيجية عملياتية خاصة بها. وتسعى إلى تنسيق الأنشطة فيما بينها. فالمفاهيم التي تضعها الاستراتيجية العسكرية لها تطبيقات عامة بفائدة كبرى[1].

تختلف الجيوبولتيكا عن الجيوستراتيجية Geostrategy، فالأولى هي علم سياسة الأرض، أمّا الثانية التي يتكون مصطلحها من مقطعين Geo وتعني أرض،]Strategy] وتعني لغوياً فن استخدام القوة العسكرية لكسب أهداف الحرب، غير أن مفهومها تطور واكتسب قاعدة علمية شمولية وأصبحت تعني الاستخدام الأمثل للمعطيات السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومن ثم يتضح أن مصطلح الجيوستراتيجية أكثر شمولاً من الجيوبولتيكا.

وحول العلاقة بين الجغرافيا السياسية والجغرافيا الإستراتيجية، نقول بأن الجغرافيا السياسية يجب أن تتزامن وتتساوق مع الجغرافيا الاستراتيجية، لأن كل وافد على الجغرافيا الاستراتيجية صحيح أنه يستطيع أن يدير الأرض والموارد مهما كانت الصعوبات لكن البشر والتاريخ(نعني الثقل الإيديولوجي وثقل المعطيات والموروث التاريخي للبشر (أمر لا يمكن إدارته وهو جزء من الجغرافيا الاستراتيجية بل وهو الجزء الأكثر أهمية في تلك المعادلة. فإذا كان ثقل تاريخ البشر(بما فيه التاريخ الإيديولوجي للبشر) يفرض نفسه بشدة في المعادلة الجيواستراتيجية فإن ثقل المكان يفرض نفسه بنفس الشدة في تلك المعادلة، ذلك أن تغيير

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 24.

الدول ليس ممكناً أو قابلاً لأن يكون مثمراً لصالح دولة واحدة على حساب الدول الأخرى. ولكي نترجم هذا إلى معادلة الواقع الحالي، إن الولايات المتحدة تستطيع أن تكون جزءاً من الجغرافيا السياسية عبر النفوذ أو الأنظمة الحليفة أو الموالية لكنها لا تستطيع أن تكون جزءاً من الجغرافيا الاستراتيجية لأنها تفتقد إلى الامتداد مع الأرض والاحتكاك مع البشر والتاريخ، بسبب عدم قدرة الطرفين على التمازج جغرافياً وبشرياً وتاريخياً.

ثالثاً: موقع الجغرافيا السياسية ضمن بقية فروع الجغرافيا

يهتم علم الجغرافيا بدراسة مظاهر سطح الأرض و تقوم على أساس الموقع و الموضع و الامتداد. كما تعني الجغرافيا أيضا بدراسة أشكال الأنظمة الموجودة على سطح الأرض و العلاقات الرابطة بين الظواهر المختلفة. تدرس الجغرافيا جميع المظاهر التي يتصف بها سطح الأرض طبيعية كانت أم بشرية، ومن هنا تفرَعت الجغرافيا العامة إلى الجغرافيا الطبيعية و البشرية و الاقتصادية...الخ[١].

اختلف الباحثون حول موقع الجغرافيا السياسية، فمنهم من اعتبرها جزءاً من الجغرافيا الاقتصادية، وآخرون اعتبروها جزءاً من الجغرافيا البشرية[٢]، وآخرون بتأثيرها بالجغرافيا العسكرية وتأثرها بالجغرافيا الاجتماعية. لكن منطق الأمور يرفض اعتبار الجغرافيا السياسية أحد فروع الجغرافيا الاقتصادية أو البشرية، وذلك لاستحالة ضمن الكل إلى الجزء، فالسياسة عبارة أعم وتشمل في جنباتها الواقعين البشري والاقتصادي، ولا يصح أن يكل الكل هو فرع من الجزء.

ونقدِّم فيما يلي وبإيجازن تعاريف لبعض الفروع الجغرافيا ذات الصلة بالجغرافيا السياسية.

---

[1] http://geography.i8.com/gbashr.htm.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٩.

١- الجغرافيا البشرية

تتناول الجغرافيا البشرية دراسة توزيع المجتمعات البشرية، ومدى التأثير المتبادل بينها وبين بيئاتها الطبيعية، والصور الاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية مثل توزيع السكان وأنماط العمران حضرياً كان أم ريفياً، كما تشمل دراسة النشاط البشري ومؤثراته والتركيب السياسي.

ويصبح تعريف الجغرافيا البشرية بذلك أنها العلم، الذي يهتم بوصف وتحليل الأنماط المكانية للظاهرات الثابتة والمتغيرة ذات الأصل البشري على سطح الأرض. وتنقسم الجغرافيا البشرية إلى ثلاثة فروع رئيسية ، الجغرافيا الاجتماعية، الجغرافيا الاقتصادية، الجغرافيا السياسية. وقسمين فرعيين، الجغرافيا الطبية والجغرافيا العسكرية.

٢- الجغرافيا الاقتصادية:

الجغرافيا الاقتصادية هي علم دراسة (وصف) الظاهرات الاقتصادية المختلفة علي سطح الأرض ثم تحليلها لمعرفة خصائصها والوقوف علي التوزيع الجغرافي لها وإدراك العلاقات المتبادلة بين الظاهرات الاقتصادية وعناصر البيئتين الطبيعية والبشرية مع ربط كل هذا ببعض.

اتسعت ميادين الجغرافيا الاقتصادية وتعددت فروعها الثانوية، فمنها ما يهتم بدراسة إنتاج الإنسان من حرفه الرئيسية (الزراعة- الصناعة)، او يهتم بالتبادل التجاري الذي يؤدي إلى زيادة قيمة السلع عن طريق تغيير أماكنها. كما تهتم دراسة الجغرافيا الاقتصادية بالاستهلاك وهو استعمال السلع لسد حاجات الإنسان. ولقد ظهرت فروع عديدة متنوعة للجغرافيا الاقتصادية مثل "الجغرافيا الزراعية"، و"جغرافية الإنتاج الحيواني" و"الجغرافيا الصناعية"، و"النقل"، و"جغرافية الأسواق" و"الجغرافيا السياحية".

وتختلف دراسة الجغرافيا الاقتصادية عن علم الاقتصاد، في أنها تدرس توزيع الغلة توزيعاً جغرافياً، وتحدد مناطق الإنتاج، وتبين أثر الظروف الطبيعية من تربة وسطح ومناخ في الإنتاج ثم تقارن بين مناطق الإنتاج المختلفة وتوضح لماذا يتفوق إقليم على آخر في الإنتاج أو لماذا يقل الإنتاج في منطقة معينة، وتدرس مراكز الاستهلاك وطرق النقل وتقارن بين وسائل النقل المختلفة وتعلل اختيار وسيلة دون أخرى. أما علم الاقتصاد فإنه يهتم بإنتاج الغلة وتجارتها واستهلاكها وأسواق الاستهلاك والأسعار ويعتمد في دراسته على الأرقام اعتماداً كبيراً.

٣- الجغرافيا الاجتماعية:

الجغرافيا الاجتماعية فرع من فروع الجغرافيا البشرية يدرس توزيع المجتمعات الإنسانية وبيئاتها، ومدى تأثر هذه المجتمعات بالظروف الطبيعية، وعلاقة توزيع الظاهرات الإجتماعية كالسكان والمدن والقرى بالظروف الجغرافية العامة.

ظهر في كتابات الجغرافيين الإغريق بعض الاهتمامات بأحوال البلاد الإجتماعية التي وصفوها وكتبوا عنها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب أرسطو "السياسة" أن هناك نوعاً من الارتباط بين المناخ وبين طبائع الشعوب.

وكتب ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي عن العمران البشري، ولاحظ أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي. وقد أشار كذلك إلى أثر المناخ في طبائع الشعوب وألوان بشرتهم.

وفي القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت جمع مونتسكيو آراءه في كتابه "روح الشرائع" الذي اعتبر فيه أن الإنسان كائن فرد تقابله قوتان كبيرتان هما الأرض والمناخ، ويرى أن التربة الفقيرة تؤدي إلى قيام حكومة شعبية والتربة الخصبة تؤدي إلى قيام حكومة ارستقراطية.

تهتم الجغرافيا الاجتماعية بدراسة توزيع السكان على سطح الأرض، وكثافتهم وارتباط ذلك بظروف البيئة الجغرافية وبيان أثر الجذور التاريخية والظروف الاجتماعية. وأساليب الحياة، ويقصد بذلك ما يقوم به السكان من حيث الاستفادة بموارد بيئتهم الطبيعية ويختلف بالطبع أسلوب الحياة في المناطق الباردة عن المناطق الحارة وهناك تداخل بين هذا الموضوع وبين الجغرافيا الاقتصادية. وكذلك تطور المجتمعات البشرية من حرفة الجمع إلى الصيد فالرعي ثم الزراعة والصناعة. وأخيراً دراسة مظاهر العمران البشري وتجمعه في القرى والمدن ومناقشة الظروف الجغرافية التي ساعدت على نشأة تلك القرى أو المدن.

٤- الجغرافيا العسكرية

هي أحد فروع الجغرافيا التي تبحث في تأثير العوامل الجغرافية على مجريات العمليات العسكرية. إذ تمثل الجغرافيا عمقاً أساسياً لكل التحركات العسكرية وسير العمليات الحربية، لأنه من المستحيل فصل العمليات العسكرية عن ظروف البيئة الجغرافية حيث تمثل الأرض بواقعها الطبيعي والبشري مسرحاً للعمليات العسكرية. لذا تهتم الجغرافيا العسكرية بدراسة العلاقة بين البيئة الجغرافية من جهة وبين الأنشطة العسكرية من جهة أخرى[١].

ومن البديهيات أن العلاقة وثيقة بين الجغرافيا العسكرية والحرب، فعندما تتوتر العلاقات بين الدول وتصل إلى درجة الحرب، تقوم الجغرافيا العسكرية برسم المسارات الجغرافية البرية والبحرية، التي سوف تنتهجها القوات المحاربة في سبيل الوصول للهدف، فضلاً عن أنها تحدد مواقع الأهداف الرئيسية الحيوية، التي يكون في تدميرها أثر على إعاقة تقدم الجيش المعادي، مثل الطرق والكباري والمناطق الصناعية، وتعد الأخيرة من الأهداف الإستراتيجية المهمة في الحرب، لأنها تزود الجيش المحارب بالضرورات اللازمة، وتدميرها

(1) Thierry de Montbrial & Jean Klein- Dictionnaire de la Stratégie, PUF 3eme ed 2007 p282.

يثير القلق داخل صفوف الجيش المعادي. أي أن للجغرافيا العسكرية دوراً فعالاً في كل أنواع الحروب البرية، والبحرية، والجوية[1].

الفقرة الثانية: نشأة الجغرافيا السياسية

يعود الاستخدام الفعلي لمصطلح الجغرافيا السياسية كعلم مستقل لاواخر التاسع عشر على يد العالم الألماني فريدريك راتزل (F. Ratzel) في كتابه الذي أصدره في العام ١٨٩٧ تحت عنوان الجغرافيا السياسية. إلا أن هذا العلم لم يظهر فجأة واحدة، بل له إرهاصات تعود للأزمان القديمة. فلقد اهتم الفلاسفة بالبحث عن أسباب الظواهر الإنسانية وأثر العناصر البيئية في تكوين الشخصية الإنسانية وصنع سلوكه. فمنذ القدم وجد الفلاسفة وعلماء التاريخ أن هناك علاقة ما بين الحالة الجغرافية للدولة وسياستها.

وسنتعرّف في هذه الفقرة إلى النشأة التاريخية للجغرافيا السياسية، وكيف برز هذا العلم في القرن التاسع عشر وكيف جرى المزج بينه وبين نظرية الجيوبوليتك، ثمَّ ضمر بعد الحرب العالمية الثانية، وأعيد استخدامه بعد تلطيف النظريات الجيوبوليتكية، والدمج ما بين المصطلحين.

أولاً: الجذور الأولى للجغرافيا السياسية

تنتسب الجذور الأولى لدراسة الجغرافيا السياسية لأرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) الذي كان أول من تحدث عن قوة الدولة المستمدة من توازن ثرواتها مع عدد ساكنيها. وترك أرسطو أفكاراً بالغة الأهمية عن وظائف الدولة ومشكلات الحدود السياسية .

---

[1] http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography11/geography/sec254.doc_cvt.htm.

فمثلاً كتب أرسطو عن عناصر المدينة المثالية، معتبراً بأن ما يحدد قوة المدينة عنصرين، هما السكان والطبيعة الجغرافية للمدينة. وربط بين حجم الكتلة السكانية ومساحة الدولة وعلاقتهما بقوة الدولة، كما اهتم بدراسة العاصمة وأهمية الموقع الاقتصادي والاستراتيجي للمدينة، ووضع تصور لمناطق التخوم التي تفصل بين الأقوام والمدن الأخرى. ووضع سترابون (Strabon) (٦٠-٢٥ ق.م.)، الرابط ما بين الجغرافيا والحياة السياسية. وشرح بأن النشاط الإنساني يتأثر بالمساحة. والجغرافيا تؤثر بقادة الدول[١].

وأوضح ابن حلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) في كتابه "المقدمة"، للعلاقة بين نمط الحياة ومفهوم الدولة فرأى بأن مفهوم الموطن أو الوطن يرتبط بالاستقرار، فالبدوي الذي هو في ترحال دائم للبحث عن العشب والماء لا يقيم أي وزن لمفهوم الدولة، التي هي بنظره مفهوم غير مكتمل. اما بالنسبة لقاطني المدن حيث تتطلب التعايش الدائم لمجموعة من البشر، فهؤلاء يجمعهم الانتماء إلى موطن واحد وبالتالي يكبر عندهم الحس الوطني أو فكرة الانتماء إلى المدينة (الدولة) [٢]. كما شبَّه ابن خلدون الدولة بالإنسان، ورأى بأنها تمرُّ بخمس مراحل حياتية هي الميلاد والصبا والنضج والشيخوخة والموت. وهذه الدورة الحياتية للدول وارتباطها بمقدرات الدولة أرضاً وسكاناً وموارد.. كانت أبرز ما نقله المفكرون الغربيون فيما بعد حينما تمت بلورة الصياغة العلمية لقيام وسقوط الحضارات .

ثمَّ جاء شارل دو مونتسكيو (Ch. De Montesquieu) ليبرهن على أثر البيئة الطبيعية في إكساب الإنسان لبعض سماته، وهي ما تسمى بنظرية الحتمية، فاستنتج بأن سكان مناطق المناخ الحر يفضلون الحكم المطلق والعبودية، أما سكان المناطق الباردة فيفضلون الديمقراطية والحرية[٣]. فكان اعتقاد مونتسكيو الشديد في الحتمية البيئية قد نحا به لأن يربط

---

[1] Abderrahim kourima -L'école géopolitique allemande- université hassan II casablanca, faculté de Droit - DESA Relations Internationales.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢١.

[٣] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٣.

مجمل السلوك السياسي للدولة بالعوامل الطبيعية وعلى رأسها تحكم المناخ والطبوغرافيا مع التقليل من مكانة العوامل السكانية والاقتصادية.

وفي عصر النهضة كتب جان بودان (J. Bodin) بأن الملامح القومية للدولة تتحدد تبعاً لمناخها وطوبوغرافيتها، لأن المناخ والطوبوغرافيا يختلفان من منطقة إلى أخرى، وهذا ما ينعكس على نشاط السكان.

ثانياً: بروز مصطلح الجغرافيا السياسية

ظهر مصطلح الجغرافيا السياسية على يد العالم الألماني فريدريك راتزل (F. Ratzel) في كتابه الذي أصدره في العام ١٨٩٧ تحت عنوان الجغرافيا السياسية، الذي عرَّف الدولة على أنها كائن حي مرتبط بالأرض، وأنها ككل كائن حي إما أن تتطوَّر وإلا فإنها ستزول وتلاشى، فالدولة بطبيعتها لا يمكن أن تبقى ساكنة. فالدولة تمرُّ بثلاثة مراحل في تطورها، مرحلة الشباب ومرحلة النضج ومرحلة الشيخوخة. ولقد أراد بهذه النظرية أن يشير إلى وجود علاقة تبادلية بين الشعب والأرض التي يحصلون منها على أسباب معيشتهم. ورأى بأن قوة الدولة ترتبط بمساحتها، ورأى بأنه يجب أن يكون للدولة مساحة كبيرة لكي تستطيع البقاء، فامتداد أطراف الدولة وتباعد جيرانها إنما هو دلالة على قوتها الداخلية، ومؤشر على نمو وتزايد عدد سكانها[١].

ولقد أثَّر راتزل تأثيراً واضحاً في اتجاهات وتطور الجغرافيا السياسية، حتى لُقِّب بأنه أبو الجغرافيا السياسية[٢]. والنقطة الرئيسية في نظريته المتعلقة بالجغرافيا السياسية هي أن الدولة مساحة جغرافية على سطح الأرض، أو هي كائن متصل بالأرض. وهذا الكائن الطبيعي أي الدولة، تسعى دائماً للوصول إلى حدوده الطبيعية، وإذا لم تصادف الدولة

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٠.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٨.

منافسة فاعلة من الدول المجاورة فإن الدولة تسعى لتخطي تلك الحدود. وذلك لأن التوسع الجغرافي والسياسي له جميع الخصائص المميزة للجسم الحي المتحرك، الذي يتمدد وينككمش تقدماً وتراجعاً، وأن أساس هذه الحركة هو الحصول على مساحة أكبر بالنظر إلى الحجم الأساسي للدولة.

ومن هنا يعتقد راتزل بأن للدولة مساحة أرضية معينة، تشكل موقع الدولة الطبيعي، وهي التي تحكم علاقتها مع الدول الأخرى. وعلى هذه المساحة يعيش مجموعة من الأفراد الذين يشعرون برابطة قوية تجاه هذه الأراض التي يعيشون عليها وتشكِّل موطناً لهم.

وإن الدولة دائمة التطور داخل حدودها الطبيعية، التي تكون في البداية وحدة أرضية صغيرة، ثمَّ تتمدد مع زيادة قوة الدولة لتتعدى تلك الحدود، وهذا ما يطلق عليه بالحدود الطبيعية للدولة. لذا كلما ازداد عدد سكان الدولة كلما بحثوا عن مكانٍ أكبر لتوفير القوت لهذه الأعداد المتزايدة، وهذا ما ينتج عنه صراع دائم للاستيلاء على المساحات الأكبر على حساب جيرانها الأضعف. وعلى ذلك فإن ما يحدث بين الدول هو نفس الحال بين الكائنات الحية حيث يعيش القوي على حساب الضعيف فيما يطلق عليه قانون البقاء للأصلح.

وهذه الفكرة أصبحت فيما بعد أساس الجيوبوليتيكا الألمانية من خلال تبني نظرية المجال الحيوي، أي المساحة الجغرافية التي تتطور داخلها الدولة. وبالرغم من أن مفهوم المجال الحيوي قد أسيء استعماله بخلال الحرب العالمية الثانية من منظري الجغرافيا السياسية الألمانية، إلا أن الكثيرين لا زالوا يؤيدون هذا المبدأ باعتباره من أهم مبادئ الجغرافيا السياسية[1]. ومصطلح "المجال الحيوي هو مفهوم مطاط يتسع أو ينكمش حسب قوة الدولة وقدرتها على الزحف الجيوبولتيكي فعلى سبيل المثال كان المجال الحيوي في نظر النازيين يشير إلى أن منطقة أوروبا الوسطى هي المجال الحيوي لألمانيا، وفي مرحلة لاحقة أصبح

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٠.

مفهوم النازيين للمجال الحيوي يتجاوز منطقة أوروبا الوسطى، وأصبح يشتمل على دول البلطيق وأوكرانيا والبلقان.

وعمد الجغرافيين اليوغسلاف إلى تطويع الجغرافيا السياسية لتحقيق أهداف قومية، فلم يتورعوا معها أن يعبثوا بالخرائط السياسية لتحقيق مآربهم . وكان المثال الأبرز هو الجغرافي اليوغسلافي الشهير يفيجييتش الذي "زيّف" في خرائط الحدود الإثنية للقومية المقدونية – مستغلا شهرته الدولية والثقة الممنوحة له في مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩– ليخدم أغراضاً مفادها "سحب" أراض مقدونية وضمها إلى الصرب، وكانت المحصلة إذكاء الروح القومية للصرب وطموحهم للتوسع.

تبنى العالم السويدي رودولف كيلن (R. Kjellen) أفكار راتزل في الجغرافيا السياسية، بخاصة لناحية اعتبار الدولة كائن حي، ولكنه أضاف إليها بأن الدولة كائن حي عاقل له قدرة أخلاقية وذهنية، وأن المرحلة النهائية لتطور الدولة هو امتلاك مقومات بناء القوة، وهي لذلك لا تكتفي بمجرد التوسع الجغرافي، إنما توظِّف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى هذه الغاية. فالدول بنظر كيلن إنما هي قوى متنافسة في صراع دائم للحصول على السيادة، أي تأمين حدود طبيعية جيدة خارجياً ووحدة متجانسة داخلياً[١].

وهذه الفكرة تقول بأن الدولة كائن حي قابل للنمو والاستمرار وهذه القابلية للنمو تدفع به كضرورة داخلية للنمو على حساب الدول المجاورة بهدف استكمال بقية أعضائه ولو اضطره ذلك الأمر إلى استخدام وسيلة الحرب. وعلى أساس من هذه الفكرة التي لا تعترف بحدود مرسومة للدولة قبل حصولها على الأعضاء التي تعوزها فالدولة أمام خيارين لا ثالث لهما، فهي إما أن تكبر وتتوسع في مجالها الحيوي إلى الحد الذي يناسبها ويناسب وصولها إلى ذروة نموها الطبيعي، وإما أن تضمر وتموت، وحسب أنصار هذه الفكرة فإن

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣١.

"الجيوبولتيكا" هي العلم الذي يقوم على دراسة الدولة من حيث كونها كائن حي ودراسة متطلباته الخاصة بضرورة التوسع في مجاله الحيوي حتى الحدود التي يطلبها.

للجيوبولتيكا على المستوى النظري . وبالتالي على المستوى التطبيقي . مفهومان: أحدهما، وهو المفهوم الذي يتلاءم وعلاقات حُسن الجوار ويتلاءم بالتالي مع القوانين والأعراف الناظمة للعلاقات بين الدول، فيقوم على الدراسة الجغرافية للدول من حيث سياستها الخارجية، أي التأكيد على المظهر الجغرافي لعلاقات الدول الخارجية. وهو المفهوم الذي يُطلق عليه عبارة " جيو بولتيكا السلام" . أما المفهوم الآخر للجيوبولتيكا فيقوم على تأكيد فكرة الارتباط المصيري بين الدول، ومجالها الحيوي المنشود، وهو مفهوم لا يتلاءم وعلاقات حُسن الجوار، ويتعارض بالتالي مع الأنظمة والقوانين والأعراف الناظمة للعلاقات بين الدول[1].

من قبيل الصور التطبيقية لجيوبولتيكا السلام، قيام إحدى الدول بتوسيع رقعتها الجغرافية أو الحصول على منفذ لها على البحر. أو على أراضي جديدة تشكل مصدراً للطاقة والمياه أو تشكل لها ميزة استراتيجية عن طريق الشراء أو عن طريق إجراء تسويات جغرافية أو سياسية مع بلدان مجاورة. وهي السياسة الجيوبولتيكية التي سبق واتبعها بعض قادة الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة ما بعد الاستقلال. وبهذه الطريقة حصلت الولايات المتحدة خلال القرن الماضي على قسم كبير من الولايات التي أصبحت منضوية تحت العلم الأمريكي مثل مستعمرة لويزيانا التي أبرم جفرسون صفقة شرائها من فرنسا عام ١٨٠٤، كما قامت فيما بعد بإجراء تسويات سياسية مع الدول التي تمتلك مستعمرات مجاورة مثل إنكلترا وإسبانيا والمكسيك، وهي تسويات كفلت لها رسم حدودها الشمالية والجنوبية والغربية. طبعاً مع ضرورة الإشارة إلى أن الولايات المتحدة جمعت في سياستها الجيوبولتيكية التي ساهمت

---

[1] حسن عبد العال"الجيو بولتيكا الإسرائيلية" المدخل إلى "جيو بولتيكا الحرب" الإسرائيلية- مجلة الفكر السياسي العدد : ١٣-١٤ ربيع صيف ٢٠٠١ .

في رسم حدودها النهائية الحالية بين مظاهر جيوبولتيكا السلام وبعض مظاهر جيوبولتيكا الحرب[1].

ومن قبيل الصور التطبيقية لجيوبولتيكا الحرب، قيام إحدى الدول بتوسيع رقعتها الجغرافية أو الحصول على منفذ لها على البحر، أو على أراضي جديدة تشكل مصدراً للطاقة والمياه أو تشكل لها ميزة استراتيجية عن طريق شن الحروب.

وهي السياسة الجيوبولتيكية التي اتبعها قادة ألمانيا النازية بهدف الحصول على "المجال الحيوي" الذي يتطلبه الرايخ الألماني الكبير. وبهذه الطريقة، طريقة توسيع رقعة الدولة عن طريق شن الحروب، استولت ألمانيا النازية على أوروبا الوسطى والشرقية وقسماً كبيراً من أوروبا الغربية وشمال أوروبا ومن ثم انتقلت في هجومها نحو الشرق بهدف القضاء على النظام الشيوعي والاستيلاء على المناطق الغنية با لمواد الأولية والغِلال في الاتحاد السوفييتي.

ثالثاً: استخدام الألمان للجغرافيا السياسية

بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وتوقيعها معاهدة الصلح المذلة والمهينة، شرع القادة الألمان بالتحري عن أسباب الهزيمة والبحث عن السبل الكفيلة بإعادة مجدهم القومي المفقود. فجذب انتباههم علم الجغرافيا السياسية، وبخاصةٍ الأفكار التي وضعها راتزل وكيلين. فلقد وجد الألمان في نظريات راتزل وكيلن حول مفهوم الدولة العضوية، مبرراً نظرياً لتحقيق أهدافهم في السيطرة والقوة والدفاع الحربي والتوسع الجغرافي، لذلك عملوا على تطوير هذه النظريات ليؤسسوا ما أصبح يعرف بالجيوسياسية (Géopolitique).

---

[1] حسن عبد العال"الجيو بولتيكا الإسرائيلية" المدخل إلى "جيو بولتيكا الحرب" الإسرائيلية- مجلة الفكر السياسي العدد : ١٣-١٤ ربيع صيف ٢٠٠١ .

ففي العام ١٩٢٤ تأسس في ميونخ معهداً للجيوسياسية تولى الجنرال هاوسهوفر رئاسته، وكان هذا المركز أداة بيد الحكومة. وسعى إلى وضع الأسس الجغرافية للحرب، ليجعلها محل اهتمام قومي شغلت الرأي العام الألماني في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

ولقد عرَّف هذا المركز الجغرافيا السياسية بأنها علم دراسة الأوضاع الجغرافية وأثرها على السياسة، وجرى التفريق بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتك في أن الأولى تدرس الدولة من وجهة النظر الجغرافيا، بيما الثانية تدرس الجغرافيا من وجهة نظر الدولة، أي تقتصر على دراة الوضع الجغرافي للدولة كما هو.

أما الجيوبوليتك فتدرس الدولة على أنها كائن حي وليس من خلال المفهوم الجامد، وتحاول أن تجد حلولاً لمشاكل الدولة الناجمة عن مقوماتها الجغرافية. وتهتم بالحاجات الجغرافية أو ببحث كيفية توفير المساحات الجغرافية اللازمة للدولة، وعندما نضع الجغرافيا في خدمة سياسة التوسع الأرضي أو زيادة المساحات الحالية للدولة، فإن الجيوبوليتيك على أسئلة تتعلق بالمستقبل، وما إذا كانت قد توفر للدولة المساحة الجغرافيا الكافية لحياتها، وإذا لم تكن هذه المساحة الأرضية قد توفرت، فما هي السبل لضمان سد النقص في المساحة الجغرافية، وفي أي اتجاه يجب أن يحدث التغيير[١].

واستنبط الألمان من الأفكار المتصلة بالمجال الحيوي والحدود الديناميكية المتغيِّرة، الاستراتيجية المرجوة للتوسع الجغرافي والسيادة على العالم. وهكذا ظهر علم الجيوبوليتك الألماني الذي رسم السياسة الألمانية تجاه العالم، وأوضح هيكلية الدولة والمبررات التاريخية الموجبة لتمددها جغرافياً. وأطلق هاوسهوفر مقولة أنه يجب تعليم القادة كيف يفكرون جيوبوليتيكياً.

فالدولة ككائن حي، إذا كانت تتميز بخاصية الكثافة السكانية مثل ألمانيا، فإن لها المبرر العلمي والطبيعي لأن تنمو على حساب الدول الأقل كثافة سكانية مثل تشكوسلوفاكيا

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٣.

وبولندا، ولذلك فإن الحدود الجغرافية التي فرضت على ألمانيا خلال مؤتمر السلام في باريس (بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى) هي حدود غير طبيعية وغير منطقية. لذا على ألمانيا أن توسِّع حدودها بما يتناسب واحتياجاتها بخصة لناحية الكثافة السكانية[١].

ورغم أن الجيوبوليتيكيين الألمان لم ينشروا أي مخطط لغزو العالم، لكنهم وضعوا الإرهاصات أو الخطوط العامة لمستقبل الرايخ في العالم [٢].

ثالثاً: بلورة علم الجغرافيا السياسية

بعد أن اقترنت الجغرافيا السياسية بالقوة والسلطة والقومية، من خلال تبرير التوسع المساحي أو الجغرافي للدولة التي تنمو، أو من خلال إجازة السيادة الدولية. فهذا التركيز المفرط للجغرافيين في دراسة القوة السياسية أدى إلى ميلاد جغرافيا سياسية ألمانية أطلق عليها تسمية الجيوبوليتك أو الجيوسياسية. وقد طغى هذا الفرع الجديد على الجغرافيا السياسية، وأصبح الخطاب الجيوبوليتكي المبرر لاحتلال أراضي دول مجاورة وقيام الحروب، واستمرَّت الجيوبوليتيكا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك أصيبت بالفتور وتراجع الاهتمام بهذا العلم، بل أصاب الشلل أيضاً الجغرافيا السياسية ذاتها، التي لم تعد محل اهتمام وبحث العلماء. وفي ثلاثينات القرن الماضي، كان بعض العلماء الغربيين يرون في أي موضوع يدخل تحت عنوان الجغرافيا السياسية أنه من الخطر التعامل معه[٣]. ويعود هذا الحظر ببسبب تورطها الزائد في دراسة مكامن القوة السياسية للدولة. لذا كان لا بدَّ من إعداة تعريف الجغرافيا السياسية لتمييزها عن الجيوبوليتيك. لذلك دعا علماء الجغرافيا السياسية الجدد أمثال ويتلسي (D. Whitlesey) وهاريسون (R. Harshorne) على أن يهتم علماء الجغرافيا السياسية بدراسة الدولة من خلال بيئتها الخاصة وظروفها الأرضية

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٤.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٥.
[٣] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٤٠.

فقط، أي ضمن حدودها الجغرافية. بمعنى آخر، الاقتصار على دراسة الدولة كمساحة أرضية ودراسة التجمعات البشرية ضمن هذه المساحة لناحية مشاكلها وطريقة إدارة شؤونها. وفي منتصف الستينات ظهر تيار جديد قاده أكرمان (Ackerman) يدعو إلى تصنيف الجغرافيا السياسية على انها علم خاص بالمناطق السياسية. وفي العام ١٩٦٨ بدأ تظهر بوادر إعادة تصنيف الجغرافيا السياسية على أنها علم قائم بذاته. وظهرت إسهامات جديدة في مجال الجغرافيا الانتخابية والحدود الإدارية للأقاليم والمقاطعات الداخلية، ودراسة قضايا الإنماء المتوازن وتوزيع الخدمات بصورة عادلة بين الأقالين والمدن... بل إن دراسة أي ظاهرة سياسية متصلة بالأرض أو المساحة الجغرافية للدولة، يعتبر موضوعاً من موضوعات الجغرافيا السياسية، طالما أن لها مكوناً مساحياً (أرضياً)[١].

الفقرة الثالثة: أبرز النظريات في الجغرافيا السياسية

تتوزَّع دول العالم على القارات الخمس التي تتشكَّل منها يابسة الكرة الأرضية، وحسب موقع كل دولة الجغرافي تتحدد أهميتها الاستراتيجية، وعلى أساس الموقع الجغرافي صِغت عدة نظريات حول الموقع الجغرافي الأهم، وأبرز هذه النظريات هي نظرية ماكندر حول قلب الأرض ونظرية ماهان حول الموقع البحري.

أولاً: نظرية قلب العالم Heart land

نظرية ماكيندر (Mackinder) عن قلب العالم، هي عملياً بمثابة استراتيجية السيطرة على العالم، إذ وفقاً لهذه النظرية فإن من يحكم أوروبا الشرقية يتحكم في قلب العالم، ومن يحكم قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم، ومن يحكم جزيرة العالم يتحكم في العالم كله (رقم ٣: خارطة نظرية قلب العالم).

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٤٤.

يعتبر الجغرافي البريطاني هالفورد ماكندر أول من نبه إلى أهمية نقطة الارتكاز الجغرافي، عندما اعتبر أن شرق أوروبا هي نقطة الارتكاز الجغرافي والتي أطلق عليها عام ١٩١٩ قلب اليابس في أورآسيا، التي كان الاتحاد السوفيتي يسيطر عليها، وطرح نظريته المشهورة التي أثَّرت في الفكر الإستراتيجي في أوروبا وأمريكا خلال القرن العشرين وحتى يومنا هذا، "من يسيطر على شرق أوروبا يسيطر على قلب اليابس ومن يسيطر على قلب اليابس يسيطر على جزيرة العالم ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم"[١]، ويقصد ماكندر بجزيرة العالم القديم أسيا وأوروبا وأفريقيا، ولقد فهم نابليون أهمية قلب اليابس قبل ماكندر عندما توجه إلى روسيا وكذلك تأثر قيصر ألمانيا وليم الثاني وهتلر وموسوليني بأهمية قلب اليابس للسيطرة على أوروبا والعالم.

في هذه النظرية يفترض الجغرافي البريطاني ماكيندر بعد وزنه للقوى الإستراتيجية عبر التاريخ أن الصراع بين القوى البرية والبحرية لا بد أن ينتهي بالسيطرة على روسيا التى تجسد قلب العالم، ومن يمسك بهذا القلب فقد تحكم فى نبضات الأرض وتدفق دمائها.

وفي التاريخ القديم، كان العلماء الفرس يعتبرون أن إيران هي قلب العالم،. إذ ورد في كتاب الملوك (الشاهنامه) للفردوسي. في الفصل المتعلق بتقسيم العالم إلى ثلاثة اقسام، من قبل الملك افريدون، يذكر الشاعر: "(....) أقام فريدون العدالة ومارس السحر إنما للخير. وتفحص شخصية ابنائه الثلاثة سالم، طور وايرادج، فقرر ان يقسّم بينهم امبراطوريته التي تضم كل العالم. إلى سالم اعطى مملكة الغرب، بلاد الروم، وإلى طور اعطى مملكة الشرق، تركستان، والتي سميت بعد ذلك طوران وإلى ايرادج الاصغر، اعطى ايران، وسط العالم"[٢].

---

(1) Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Ellipse 2003 p47.

(2) Mohammad-Reza Djalili & Thierry Keliner – Géopolitique de la nouvelle Asie centrale – Op. Cit. p 20.

لاحظ ماكندر Mackinder ، أن البحار تغطي حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية في حين أن اليابسة لا تزيد عن ربعها، وفي هذا الجزء من اليابسة تقع منطقة عمرانية يشغلها حوالي سبعة أثمان سكان الأرض، وراى بأن أرض العالم مرتبة على شكل ثلاث طبقات، في الطبقة الأولى الاي سماها بقلب العالم هي المنطقة الممتدة من نهر الفولجا غرباً إلى سيبيريا الشرقية في الشرق، ومن جبال الهملايا في الجنوب إلى منطقة القطب الشمالي في الشمال. ورأي بأن الملامح المميزة لقلب العالم أنها محاطة من ثلاث جهات بالجبال، ويحدها المحيط المتجمد الشمالي من الجهة الرابعة، ومن ثمَّ فهي مكانٍ آمن، وأن المنطقة يمكن اختراقها من الجهة الجنوبية الغربية عن طريق أوروبا الشرقية تبين جبال الأورال وبحر قزوين. تحاط هذه المنطقة بإقليم هامشي يضمُّ كل أراضي أوراسيا الموجودة خارج منطقة قلب العالم، ويتضمن أوروبا خارج جبال الأورال، وجنوب غرب آسيا خارج الأراضي الإيرانية والهند، وجنوب شرق آسيا ومعظم الصين. أما النطاق الثالث وأطلق عليه تسمية الهلال الخارجي فيضمُّ قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا وأفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى والجزر البريطانية واليابانية[1].

وقد تأثرت الحركة النازية في ألمانيا بهذه النظرية وكان يراد من وصول الجيش الألماني إلى قلب هذه المنطقة السيطرة على بقية جهات العالم.

ثانياً: نظرية سيادة القوة البحرية الأعظم نظرية ماهان

كان الأدميرال ألفرد ماهان (A Mahan) (١٨٤٠-١٩١٤) أستاذ الاستراتيجية البحرية، وكتب عن الاكتمال المساحي للولايات المتحدة الأميركية، فهي بدأت بالتوسع والامتداد في العام ١٨٦٧، فاشترت الألسكا من الروس في ذاك العام، وبنت قناة بنما ما بين عامي ١٩٠١ و١٩١٤، وأسست الاتحاد البان -أميريكا في العام ١٩١٠، وتمددت نحو العديد من

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣٠٩.

الجزر في المحيطين الهادي والأطلسي (رقم ٤: خارطة التوسع الأميركي في المحيط الهادي).

ورأى بأن كل المقومات والعوامل متوفرة للولايات المتحدة الأمريكية التي تكاد تشبه الجزيرة المحصنة، وهي مؤهلة لأن تكون أعظم قوة بحرية في العالم. إذ كان يرى أن القوة البحرية أساس قوة الدولة و أن أي دولة تريد السيطرة على العالم يجب أن تتحكم في قوة بحرية كبيرة ، وأن تكون لها السيطرة على البحار[١].

ولم يعتبر ماهان الحصول على المستعمرات شرطاً من شروط القوة البحرية ، بل كان يؤمن بضرورة التغلغل الاقتصادي في دول العالم ، كما أنه دافع عن ضرورة إقامة سلسلة متشعبة من القواعد العسكرية الإستراتيجية بعيداً عن الولايات المتحدة الأمريكية من أجل حماية طرق الملاحة البحرية ، و تأمين سرعة تدخل القوات الأمريكية إذا لزم الأمر.

تبنى الجيوبولتيكيون الأمريكيون الذين أتوا بعد ماهان كل آراءه وطوَّروها، أكدوا بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تحتاج فقط إلى قواعد عسكرية خارج أراضيها ، بل و إلى تعزيز سيطرتها على المناطق الحاوية على الموارد المعدنية و موارد الطاقة ، و أخذوا يطالبون بالسيطرة على العالم و لو كان ذلك عن طريق الحرب.

فكانت آراء ماهان ومازالت الموجِّه للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ، فقد بدأت بتطبيق هذه الآراء بعد الحرب العالمية الثانية من خلال مبدأ ترومان بإقامة مجموعة من القواعد البحرية و الأحلاف العسكرية في مختلف مناطق العالم[٢]، حتى أصبحت أقوى دولة بحرية في العالم وطوقت الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية بالأحلاف والقواعد، كما أن نفوذها السياسي و الاقتصادي و العسكري يشمل معظم الدول الرأسمالية المتقدمة والنامية.

---

(1) Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p42.

(2) Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p52.

ثالثاً: نظرية حافة الأرض

طرح نيقولاي سبيكمان (Spykman) (١٨٩٣-١٩٤٣) نظرية حافة الأرض أو الإطار الهامشي Rimland التي استوحتها وتبنتها السياسة الخارجية الأميركية[١]، وبمقتضاها فإن من يسيطر على هذا الإطار، يسيطر على أورآسيا وبالتالي يسيطر على العالم (رقم ٥: خارطة نظرية الإطار). ونلاحظ أن حافة اليابس هي الهلال الداخلي عند ماكندر وهي الهلال أو قوس الأزمات عند بريجنسكي وهي العالم العربي الإسلامي وتسميه الولايات المتحدة الشرق الأوسط الكبير، والذي لا زال يشكل السيطرة عليه نقطة السيطرة على العالم كما يؤكد الاستراتيجيين الغربيين من ماكندر حتى بريجنسكي مستشار كارتر للأمن القومي الأمريكي، وبول وولفويتز مهندس احتلال العراق نائب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق ومدير البنك الدولي الحالي.

يمكن أن نعد نيكولاس سبيكمان خليفة ماهان في إستراتيجيته ،فقد تبنى نظرية القوة البحرية، ورأى بأن القوة البحرية تتحكم في التكتلات الأرضية وهي العامل المؤثر في الاستراتيجية العالمية، وكان سبيكمان يخشى من سيطرة ألمانيا على القارة الأوربية و من ثم على الهارتلاند الأورو – الآسيوي ، لذا فهو يرى ضرورة التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا كقوة بحرية و الاتحاد السوفيتي كقوة برية لمنع ألمانيا من تنفيذ مخططها العالمي .

انتقد سبيكمان نظرية ماكندر عن قلب العالم، إذ رأى بأن القوة تكمن في الهلال الهامشي الذي يحيط بالهارتلاند عند ماكندر مفتاح السياسة العالمية ، وقد أطلق على هذه الأراضي اسم الإطار أو الحافة التي تضم أوروبا الغربية والشرق الأوسط و الهند و جنوب شرق آسيا و الصين ، ففي هذا الإطار يوجد العدد الأكبر من السكان و مصادر ثروة غنية

---

[1] Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p51.

بالإضافة إلى استخدام البحر في النقل والاتصال، وازدادت قيمة هذا الإطار أو الحافة باكتشاب الموارد البترولية. لذا فإن هذا النطاق هو منطقة حاجزة للقلب وغنية بالموارد والسكان، لذا نادى بتغير نظرية ماكندر، وأن من يريد السيطرة العالمية يجب أن يسيطر على الإطار وها ما يتيح له السيطرة على أوراسيا، ومن يحكم أوراسيا فإنه يتحكم بمصائر العالم[1].

رابعاً: نظرية صدام الحضارات

وضع هذه النظرية صموئيل هانتنغتون (S. Huntington) في صيف العام ١٩٩٣ ضمن مقال بعنوان "صدام الحضارات" وفي العام ١٩٩٦ وضع كتاباً بعنوان صراع الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، وبمقتضاها فإن العالم بخلال الحرب الباردة كان مقسماً إلى عالمٍ أول وثانٍ وثالث، لكن ما بعد الحرب الباردة فل يعد هناك أي جدوى لهذا التقسيم، وأن الأجدى هو تصنيف البلدان في مجموعات من حيث حضارتها.

واليوم فإن العالم هو عالم متعدد الأقطاب، أي متعدد الحضارات التي يتكون منها العالم، وهي "الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، الأفريقية، السلافية الأرثوذكسية، والأميركية اللاتينية" وأن ما يحكم العلاقة بين تلك الحضارات هو "الصدام"، هذا الصدام أساسه الثقافة أو الهوية التي تحكم كل حضارة. فالحضارات هي أعلى تجمع ثقافي للناس، وهي تتحدد في آنٍ معاً بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والحاجات (رقم ٦: خارطة صدام الحضارات لدى هانتغتون).

ويعتقد هانتغتون أن خطوط الانقسام بين الحضارات تحل محل الحدود السياسية والإيديولوجية للحرب الباردة باعتبارها نقاط تفجر الأزمات والمذابح. فمثلاً يرى أن خط

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٣١٧.

الانقسام بين الحضارتين الغربية والإسلامية مستمر منذ أكثر من ألف سنة، وبعد الحرب العالمية الثانية اختفت الأمبرطوريات الاستعمارية وبرزت اقومية العربية ثمَّ الأصولية الإسلامية في وقتٍ برزت فيه حاجة الغرب إلى مصادر الطاقة الموجودة في العالم الإسلامي. وإن التصادم العسكري بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينحسر بل سيصبح أكثر خطراً.

وكذلك فإن جذور النزاع التاريخي بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية، بخاصة النزاع الباكساني –الهندي، والنزاع داخل الهن بين الهندوس والأقلية المسلمة، وفي القارة الأفريقية يحتدم النزاع بين المسلمين والأفريقيين السود من الديانتين الوثنية والمسيحية الأرثوذكسية. كما تتفجر النزاعات بين المسلمين في شرق أوروبا بخاصة في البوسنة والشيشان[١].

ويرى هاننغتون أنه في كلما وقعت مجموعة أو بلد في نزاع مع بلدٍ آخر ينتمي إلى حضارة مختفة، فإن كافة المنتمين إلى هذه الحضارة يؤازرون الدولة التي يشتركون معها في الحضارة.

ويرى أن الغرب هو حالياً في واج قوته يقف بمواجهة الحضارات الأخرى، وأن النزاع العسكري بين الدول المنتمية إلى الحضارة الغربية هو أمر مستبعد، وأن الغرب هو الذي يملك القوة العسكرية لتي لا منافس لها، وفي ما عدا اليابان فإن الغرب لا يواجه أي تحدٍ اقتصادي وهو يهيمن على المؤسسات السياسية والأمنية العالمية، ويهيمن مع اليابان على المؤسسات الاقتصادية الدولية. وتتم تسوية القضايا السياسية والأمنية العالمية بواسطة مجلس الأمن الذي يعكس مصالح الغرب، ومن المرجح برأيه أن يتمثل المحور المركزي

---

(1) Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p59.

للسياسات العالمية في المستقبل في النزاع بين الغرب وبقية العالم من خلال ردود الحضارات غير الغربية على القوة والقيم الغربية[١].

وفي المستقبل عندما يتمايز الناس فيما بينهم بحسب الحضارة، فإن البلدان التي توجد فيها أعداد كبيرة من الشعوب ذوي الحضارات المختلفة فهذه الدول مرشحة لتقطيع أوصالها كما حصل مع يوغسلافيا والاتحاد السوفياتي، وكما قد يحصل مع السودان المرشح للانقسام. وفي بلدان أخرى درجة كبيرة من التناغم الثقافي إلا أنها تحاول الانتماء إلى حضارة مختلفة مما يضيّع هويتها وتسمى بالدولة المشتتة أو الممزقة وهذه حالة تركيا المنتمية إلى الحضارة الإسلامية وتحاول جاهدةً لانتقال إلى الحضارة الغربية.

خامساً: نظرية الشرق الأوسط الكبير

كان الشرق الأوسط حاضراً في أذهان مختلف القيادات الأمريكية، تأسياً بأفكار سبيكمان، وهو ما كان يدفع باتجاه إعادة التفكير كل فترة فيما يمكن أن يكون عليه الحال في هذه المنطقة من أجل ضمان المصالح الأمريكية.

الشرق الاوسط اقليم صعب التحديد بصورة واضحة او قاطعة، لأنه اقليم هلامي القوام، بمعنى انه يمكن ان يتسع او يضيق على خريطة العالم حسب التصنيف او الهدف الذي يسعى اليه باحث في مجال من مجالات العلوم...وهذه الصعوبة، بل المرونة في تحديد الشرق الاوسط نابعة من كون هذا الاقليم يتألف من عدة متداخلات طبيعية وبشرية، وانه على هذه المتداخلات يمتد بعد زمني هو اطول بعد تاريخي نعرفه عن أي اقليم آخر في العالم[٢].

---

(١) صاموئيل هانغتون - صدام الحضارات- منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق- الطبعة الأولى ١٩٩٥ ص ٣٢.

(٢) يحي الكعكي، الشرق الاوسط والصراع الدولي، دار النهضة العربية ١٩٨٦ ص ١٤١.
حسين النجار، السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ ص ٢٧.

فمنطقة الشرق الاوسط هي إقليم جغرافي يتوسط دائرة تضم القارات الثلاثة اسيا وافريقيا واوروبا. وهي جزء من العالم الاسلامي الكبير الذي يحوي داخله مثلث صغير يحتل قلب الشرق الاوسط بصفاته المكانية وسماته الطبيعية و الحضارية[١]. وتظهر خصوصية الشرق الاوسط بامتداده واشتماله على مناطق تنتمي إلى قارات مختلفة ليطيح الاعتبارات الجغرافية الكلاسيكية، وادت هذه الخصوصية إلى بعد علماء الجغرافيا عن لعب أي دور في صوغ مصطلح الشرق الاوسط، وانما وجد هذا المصطلح في التقسيم الغربي الثلاثي للشرق الادنى، الاقصى، المتوسط[٢].

ويمكن اعتبار هذا المصطلح أيضاً مضاداً لمصطلح الوطن العربي، وبديلاً منه في آن واحد. فحديثاً أصبحت قضية فلسطين تسمى قضية الشرق الأوسط. وبمرور الوقت أصبح العرب أنفسهم يستخدمون هذين المصطلحين، وتدريجياً بدأ اختفاء تسميات الوطن العربي وفلسطين، وبخاصة ما يصدر عن الغرب والدولة الصهيونية، ليظهر بدلاً منهما مصطلحات الشرق الأوسط، وقضية الشرق الأوسط، والسوق الشرق أوسطية، والشرق الأوسط الكبير، والاتحاد من أجل المتوسط.. .

١ – <u>التكوين التاريخي لاقليم الشرق الاوسط</u>

يعتبر الشرق الاوسط اخصب بيئة في التاريخ القديم لاستثمار جهود الانسان، فقد كانت الطبيعة في غاية السخاء عندما منحته كل مقومات الحياة، فكان مهد الحضارات القديمة والامم القوية التي عاشت في ربوعه حقباً طويلة.

---

[١] محمد سليم،التفاعل في مثلث القوة، شؤون الاوسط عدد٣٣ سنة ١٩٩٤ ص١١.

[٢][٢] معين مراد ، مفهوم الشرق الاوسط بين الجغرافيا و الجيوبولتيكا، شؤون الاوسط عدد ٣٣ سنة ١٩٩٤ ص ٤١.

فشهدت هذه المنطقة حضارة مصر في وادي النيل وسومر واشور وبابل في العراق ومعين وسبأ في اليمن وفينيقيا في الشاطئ الشرقي للمتوسط، واتصلت هذه المنطقة بالحضارتين الاغريقية والرومانية، وكان غزو الاسكندر المقدوني له محاولة قوية لادماج العالم المعروف وقتذاك في وحدة الحضارة الهلينية، كما كانت اول غزو يقوم به الغرب إلى الشرق، كما ان البيزنطيون اهل فارس كانوا قوتين عالميتين تقابل احدهما الاخرى على ارض الشرق الاوسط في القرن السادس الميلادي[١].

وإلى الحضارات، طلعت الديانات السماوية على العالم من ثنايا الشرق الاوسط ، ففي مصر بعث موسى الى بني اسرائيل، و في الناصرة – فلسطين ظهر المسيح ، و من مكة طلعت رسالة التوحيد و شريعة الحياة بعث بها محمد ليكون خاتم الانبياء[٢].

وبتعدد الحضارات و الشعوب في منطقة الشرق الاوسط تعددت اللغات المستعملة من قبلهم، واذا تركنا جانباً اللغات التي اندثرت كاللغة الفينيقية و السريانية و القبطية و السورية و الاغريقية و الكلدانية. فإننا نلاحظ ان بعض الشعوب القديمة في المنطقة قد حافظت على لغتها ،كمحافظة اليهود على اللغة العبرية . و منذ ظهور الاسلام سيطرت اللغة العربية على معظم أرجاء الشرق الاوسط و بقيت الى جانبها اللغتين التركية و الفارسية ، اضافة الى هذه اللغات الثلاثة التي تحكم المنطقة دخلت اللغة العبرية باعتبارها اللغة الرسمية للدولة الصهيونية. كما تستعمل في اطراف هذه المنطقة لغات أخرى كاستعمال لغة الباشتو في افغانستان اضافة الى اللغة الفارسية، و استعمال اللغة البربرية في ليبيا و تونس و الجزائر و مراكش . وفي القوقاز هناك مجموعة واسعة من اللغات المزدهرة مثل الغريغورية و الارمنية و الشركسية و الشاشنية و الافار.

---

[١] حسين النجار، المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥

[٢] حسين النجار، المرجع السابق، ص ٣٨.

٢- الاهتمام الدولي بالشرق الأوسط

يحتل الشرق الاوسط في هذه الايام مكانة في الاهتمام العالمي، مصدر هذا الاهتمام عوامل سياسية و جغرافية واقتصادية هذه العوامل تضافرت و شكلت اسباب نشوب معظم النزاعات في المنطقة. بيمكن حصر اسباب الاهتمام بمنطقة الشرق الاوسط وردها الى اسباب استراتيجية وجغرافية واقتصادية ودينية.

لناحية الاسباب السياسية و الاستراتيجية، فإن الشرق الأوسط لم يفقد أهميته طوال عصور التاريخ المختلفة ، فقد ظل طوال العصور القديمة و الوسطى من التاريخ منبع التيارات السياسية و مركز الثقل الدولي في العالم . و في العصر الحالي كان لتطور الاتجاهات الدولية في السياسة و الاقتصاد و الحرب في الوقت الحاضر ان جعل مركز الثقل الدولي ينحرف اليه و يتركز فيه[١]. سواء في زمن الحرب الباردة، او في ظل النظام العالمي الجديد.

وإذا اخذنا بنظرية الجيوبولتيكا فان موقع الشرق الاوسط هو اهم ما يمكن ان يحتله اقليم في العالم، فهو مركز الاتصال بين قارات الجزيرة العالمية افروراسيا و هو المعبر الذي يصل قلب الارض الاصلي في اوراسيا و قلب الارض الثانوي في افريقيا. لذلك كانت هذه المنطقة محل تنافس الروس و الامريكان او المعسكرين الشيوعي و الرأسمالي ، حيث عمد كل معسكر الى جمع الدول المساندة ، اضافة الى نشر القواعد العسكرية في الاماكن المناسبة استراتيجياً سواء لحالة الهجوم او حالة الحصار و تقييد تحركات الخصم على الساحة الدولية . خاصة و ان هذه المنطقة تقع على تماس بين المعسكرين الشرقي والغربي، فلها

[١] حسين النجار ، المرجع السابق ص ٦٥

حدود مشتركة مع الاتحاد السوفياتي و الشرق الادنى (اوروبا الشرقية) كما كانت محل اطماع دول عديدة في اوروبا الغربية (فرنسا–بريطانيا– المانيا– ايطاليا–النمسا..).
ورأى الامريكيون في الشرق الاوسط اهم جزء في المحيط الارضي لوقوعه في شرقي اوروبا ، على اعتبار ان اوروبا هي مركز الصراع السياسي و الحربي في اي نزاع ينشب بين الجبارين. و ان الشرق الاوسط يحول دون طغيان روسيا على غربي اوروبا ...كما ان هذه المنطقة هي المعبر للسيطرة على افريقيا... [١].

أما الأسباب التجارية، فتأتت عن كون موقع الشرق الاوسط في هذه البقعة المتوسطة من العالم ما جعله على الدوام في ملتقى المواصلات العالمية ومعبراً تمر به التجارة بين الشرق والغرب سواء من اواسط آسيا والصين عبر الطرق البرية، او من جنوبها حيث تجارة الهند وجزر الهند الشرقية الرائجة في اسواق اوروبا.
ولم تبرز اهمية الشرق الاوسط الاستراتيجية إلا في العام ١٨٦٩ عندما تم شق قناة السويس وافتتاحها للملاحة، واصبحت طريق الاقتراب البحري الرئيسي إلى الهند كما صارت المعبر الاول لتجارة الشرق والغرب، ولم يعد الشرق الاوسط يضم طرق الاقتراب البرية إلى شرقي آسيا وشمالي اوروبا، بل اصبح يضم اهم شريان مائي يصل بين الشرق والغرب[٢]. وكذلك كان لتقدم الطيران دوره في مضاعفة الاهمية السياسية والاستراتيجية للشرق الاوسط ما لا يقل عن الآثار التي ترتبت على شق قناة السويس، وقد اصبحت اجواء الشرق الاوسط اهم معبر هوائي تجتازه الطائرات بين الشرق والغرب[٣].

وتعود الاسباب الاقتصادية للاهتمام بالشرق الأوسط لكونها من اغنى مناطق العالم بمصادر الطاقة المختلفة، والمواد الخام الاولية للصناعات، وخاصة البترول، الذي يعدُّ

---

[١] حسين النجار ، المرجع السابق ،ص٥٤
[٢] حسين نجار، المرجع السابق، ص ٦٩،٧١.
[٣] حسين نجار، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

عماد الصناعة الحديثة. وكلما عظمت موارد الدولة من البترول كلما عظمت قدرتها الصناعية وقوتها على الصمود في حرب طويلة واذا تعرضت موارد الدولة من البترول للدمار او التخريب وقت الحرب كان هذا ايذاناً بهزيمتها في ميادين القتال وخسارتها للحرب. واصبح البترول بعد التطور الاخير في تنظيم القوات المحاربة عصب الحروب الحديثة وعظمت اهميته الاستراتيجية تبعا لذلك واضحى هم الدول الكبرى ان تتحكم في منابع البترول التي لا وجود لها في بلادها واصبحت تسعى ولاء امتيازاته في كل مكان وصار البترول عنصراً جديداً هاماً من عناصر السياسية الدولية[١].

أما الأسباب الدينية للاهتمام الدولي بالشرق الأوسط، فمردَّه للرغبة الأميركية والغربية في الحفاظ على إسرائيل كدولة يهودية في وسط العالم الإسلامي.

الفقرة الرابعة: مناهج البحث في الجغرافية السياسية

تعددت مناهج البحث في الجغرافية السياسية مع التغيرات التي انتابت هذا العلم بخلال فترة تطوره. ويعدُّ المنهج الأول هو منهج الحتمية الجغرافية وبمقتضاه يجري البحث عن التأثير الحتمي للبيئة الطبيعية على تشكيل الحياة السياسية. وفي القرن العشرين تغيرت الصورة تماماً مع تغير اتجاهات الجغرافية السياسية، فظهرت مناهج جديدة تخدم أغراض هذا العلم، حيث رست هذه المناهج على أربعٍ هي المنهج الوظيفي، المنهج التحليلي، المنهج المورفولوجي، المنهج التاريخي[٢].

أولاً: المنهج الوظيفي

---

[١] حسين نجار، المرجع السابق، ص ٩٧، ١١٠.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٤٧.

يهتم هذا المنهج بالوظيفة التي تقوم بها الدولة، وأثر المكان في تقوية الوحدات السياسية المكونة للدولة أو إضعافها. وكذلك يبحث في أثر النشاط الحكومي في حماية أجزاء الدولة وقوتها من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وانعكاس ذلك على الظاهرة السياسية.

فالدولة لم تعد إدارة مركزية قوية فقط تدير الأطراف من العاصمة، بل أصبحت الدولة تقسَّم إلى وحدات سياسية وإدارية التي تشكِّل أجزاء الدولة كالمحافظات والبلديات أو الأقاليم والوحدات الفدرالية. ولكل وحدة حاكم أو محافظ يدير شؤونها. وترتبط هذه الوحدات بالإدارة المركزية برابط قوي، لأن الاستقلالية التامة تعني الانفصال. لذا حتى تبقى الدولة متماسكة وقوية، يجب أن تدعم وتهيء الظروف ليبقى انتماء وولاء سكان هذه الوحدات إلى الدولة الأم أكثر من انتمائهم إلى هذه الوحدات (مثلاً: هذه المشكلة تواجهها دولة العراق، إذ بعد تبني النظام الفدرالي، نلاحظ أن ولاء سكان إقليم كردستان هي لقويمتهم ولإقليهم المستقل أكثر من ولائهم وانتمائهم لدولة العراق).

ويساهم المنهج الوظيفي في تبيان وظيفة الدولة في ضمان تحقق هذا الشعور بالانتماء وضمان تماسك أجزاء الدولة، وما إذا كانت الدولة قد ساهمت في تعزيز روح الانسجام والتماسك والمساواة في الحقوق والواجبات بين كاف أرجاء الدولة. فيرشد هذا المنهج إلى الخلل في التوزيع عندما يستقطب جزء من الدولة الاهتمام الأكبر من باقي الأجزاء أو الوحدات السياسية، أو عندما يستقطب عرق أو طائفة أو جماعة بكل المناقع والخيرات على حساب باقي مكونات الشعب. كذلك يساهم المنهج الوظيفي في تبيان حيوية الدولة وقوتها المرتبطة بالاعتبارات الاقتصادية والإدارية والسكانية، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول.

ثانياً: المنهج التحليلي

يهتم هذا المنهج بدراسة تحليلية لمكونات الدولة، وإظهار نقاط الضعف والقوة بها، وإيضاح العلاقات التي تربط بين أجزائها، والتي تربطها بالدول المجاورة. وهذا المنهج هو من

المناهج المفضلة لدراسي علم السياسة. وهو الذي تبنته المدرسة الألمانية فيما بين الحربين العالميتين ونشأت من رحمه نظرية الجيوبوليتكا.

يعتمد هذا المنهج على إظهار قوة الدولة من خلال المقومات الطبيعية والبشرية.

لناحية المقومات الطبيعية، فإن كل من موقع الدولة وتضاريسها ومناخها ومزروعاتها ومسطحاتها المائية، وطرق النقل، أثر في قوة الدولة. أما لناحية المقومات البشرية، فإن لحجم وتركيبة السكان، وطرق استغلالهم للموراد الطبيعة، وحركة السكان وتنقلاتهم الداخلية، وكذلك النظام السياسي والتنظيم الإداري المعتمد، كلها لها أثر في تحديد قوة الدولة.

ومن خلال هذا المنهج التحليلي، نستطيع تفسير تصرفات الدول وفي أي اتجاه تركز اهتمامها، فمثلاً إن بريطانيا واليابان، هي دول بحرية، استغلت قدرتها في السيطرة على البحار، إلى مد نفوذها واستعمارها أجزاء كبيرة من اليابسة الغنية بالموارد. وبالمقابل، فإن كندا واستراليا هي دول ذات حدود بحرية كبيرة ومع ذلك فهي لم تولي الاهتمام للبحار، لأنها دول غنية بالموارد الأرضية وركَّزت اهتمامها على استثمار مواردها الداخلية.

وقد يؤثر عامل السكان في قوة أو ضعف الدولة، فالدول ذات التجانس السكاني تبدو قوية، وبالعكس فهي دول ضعيفة، تلك الدول التي تضمُّ عدة عصبيات قبلية أو اتنية أو دينية ولا يوجد تجانس بين هذه المجموعات، ولا يوحدها شعور وطني أو قومي، وتواجه الدولة عصياناً مستمراً من قبل هذه المجموعات أو تحصل صدمات فيما بينها.

ثالثاً: المنهج الشكلي (Morphologique)

يهتم هذا المنهج بدراسة حجم الدولة وشكلها وموقعها وحدودها وموقع العاصمة ومناطق النواة (أي المناطق الاقتصادية والاجتماعية أو العمرانية الهامة) وخصائصها، كما يقوم بدراسة الحيز المساحي الذي تشغله الدولة على خريطة العالم.

فعند دراسة تركيا مثلاً، يركّز المنهج الشكلي على دراسة الرقعة الأرضية التي تشغلها وأهمتها الاقتصادية ومراكز الانتاج الرئيسية، وعاصمتها أنقرة التي تقع في وسط هضبة الأناضول في موقعٍ يربط بين أجزاء الدولة. ويتطرق المنهج الشكلي إلى الواقع السكاني حيث تعتبر تركيا من الدول كثيرة السكان، وهذا الفائض السكاني تحاول تركيا معالجته عبر الانضمام للاتحاد الأوروبي لضمان الحصول على تسهيلات في تنقل مواطنيها للعمل في أوروبا أو لتسهيل تصدير منتجاتها الزراعية إلى الأسواق الأوروبية. ويفتح عنصر السكان مشكلة الأكراد في الأجزاء الشرقية، وصراعهم الطويل مع الحكومة المركزية، ومطالبتهم بالاستقلال أو بالحكم الذاتي، وهذه المشكلة تكلّف الخزينة نفقات باهظة على الحملات العسكرية ضد قواعد جيش حزب العمال الكردستاني.

وعند دراسة الموارد الاقتصادية التركية نجد أن المياه هي المورد الهام في تركيا تقايض به الدول الجافة المجاورة بخاصة سوريا والعراق، ويتردد الحديث عن تزويد الكيان الاسرائيلي بالمياه.

وعند دراسة الحدود التركية، نجد أن مشكلة الحدود البحرية بينها وبين اليونان والنزاع على بعض الجزر يجعلها في حالة استعداد عسكري دائم[١].

وفي العام ١٩٦٨ كتب هارتسهورن أن أفضل أسلوب لدراسة الدولة من وجهة الجغرافية السياسية هو المنهج الشكلي، الذي يفسّر ويشرح ويصوّر الشكل الداخلي والخارجي لمساحة الدولة كموقعٍ جغرافي فوق سطح الأرض.

فدراسة حدود الدولة وما يتبعه من شكل ومساحة وموقع تدخل ضمن إطار دراسة الشكل الخارجي، في حين تدخل دراسة الأقاليم والاقتصاد والسكان والتقسيم الإداري الداخلي وموقع العاصمة في إطار الشكل الداخلي للدولة[٢].

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٥١.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٥٩.

رابعاً: المنهج التاريخي

إن النظر في طبيعة المجال الحيوي، وفي اهمية السكان، وإلى بعض المميزات والخصائص التاريخية قد يُمكن من تحديد التكوين الجغرافي للمنطقة. إذ أن مطلق منطقة جغرافية، هي، في المآل الاخير، اختزال واختصار لتاريخ قد يستطيع في بعض الاحيان ان يخبرنا الكثير عن الماضي[1].

وللتاريخ أبعاد ثلاثة هي الإنسان، والزمان، والمكان، وهو يمد الجغرافيا السياسية، التي تتكون من بعدين هما الأرض والإنسان، بما تحتاجه عن مجريات الأحداث التاريخية التي أثرت في تطور الدولة من حيث تقدمها أو تخلفها. ونظراً لاهتمام الجغرافيا السياسية بالخصائص السياسية في الوقت الحاضر، فإن هذه الخصائص لا يمكن فهمها إلاّ في ضوء الماضي، كما أن السلوك السياسي للدولة والحكومات يتأثر بميراث الماضي. كل هذا ما يقدمه التاريخ لمعاونة الجغرافيا السياسية.

لذا يركِّز المنهج التاريخي على التطور الذي مرَّت به الوحدة السياسية بخلال تاريخها. فالدول تمرُّ بمراحل نمو مختلفة، ومن يتناول أطلساً قديماً يلاحظ أن حدود الدول تغيّرت، بخاصةٍ إذا ما قورنت هذه الوحدات السياسية في أواخر القرن التاسع عشر بمثيلتها الآن في أواخر القرن العشرين.

يركز المنهج التاريخي على الماضي من أجل تحليل الأحداث السياسية والبحث عن جذور المشكلات التي تنتاب بعض الدول. وقد تلجأ الدول إلى خرائطها القديمة لإثبات أحقيتها في بعض الأراضي المتنازع عليها. كما فعلت مصر في نزاعها الدولي مع الكيان الإسرائيلي الغاصب عندما أثبتت بالخرائط أحقيتها في ملكية بعض الأراضي في منطقة حدودها الشرقية مع فلسطين، بعد ان تمسكت إسرائيل بأراضي طابا على أنها غير مصرية.

---

[1] Mohammad-Reza Djalili & Thierry Keliner – Géopolitique de la nouvelle Asie centrale – Op. Cit. p 17.

وتعد دراسة ويتلسي (Whittelsey) عن التطور التاريخي لنمو دولة فرنسا، من أهم الأمثلة عن المنهج التاريخي. فلقد كانت ولادة الدولة الفرنسية من جزيرة فرنسا النهرية بالقرب من باريس، وأخذت تتوسع مساحياً لتستوعب المتغيرات الناجمة عن الزيادة السكانية إلى أن وصلت إلى صورتها الحالية. وبخلال هذا التطور سادت اللهجة الباريسية كل فرنسا[1].

الفصل الثاني:
الدولة محل دراسة الجغرافيا السياسية

قلنا فيما سبق أن الدولة هي ميدان الجغرافيا السياسية، وإن دراسة الدولة وفقاً للمنهج الشكلي (المورفولوجي) يعني أن تضمَّ هذه تشمل هذه الدراسة مساحة الدولة وحدودها الدولية، والنظام الإداري الذي يجمع أرجاء الدولة، والسكان، والهيكل الاقتصادي ونظام وطرق النقل والمواصلات داخل الدولة.

وهذه العناصر الحيوية لكل دولة، هي حكماً متفاوتة من دولة لأخرى، فعلى سبيل المثال هناك دول ذات مساحة كبيرة مثل روسيا وكندا، وهناك دول صغيرة الحجم مثل موناكو وسان مارينو. وكذلك تتفاوت الدول في عدد السكان، فالصين يتجاوز تعداد سكانها المليار نسمة، بينما جمهورية نارو لا يتجاوز عدد سكانها الـ ٨٠٠٠ نسمة. وأيضاً تتفاوت الدول في القوة الاقتصادية إذ تصنَّف الدول ما بين متقدمة ونامية ومتخلفة.

ودراسة الدولة، وفقاً للعناصر السابقة، هي لتبيان مضمون قوة الدولة وتحليل هذه القوة. إذ اول ما يسعى السياسيون العسكريون إلى معرفته، هو تحليل نقاط الضعف والقوة لدى دول الأعداء والأصدقاء على حدٍ سواء. ومنذ الحرب العالمية الثانية تغيَّر مفهوم القوة بعد تغيُّر

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٥٢.

الأنماط الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، وبذلك أصبح من الصعب الثبات على مقياس واضح لقوة الدولة، بحيث أن أي مقياس لن يكون فعالاً بصورة كافية بخاصة عندما تدخل معطيات جديدة في حساب القوة. واليوم فإن القوة العظمى الأولى هي الولايات المتحدة الأميريكة، يليها روسيا الاتحادية في المرتبة الثانية[١]، أما بقية الدول فما هو معيار تصنيف درجة قوتهم، إذ كيف نرتّب دولاً صغيرة وقوية جداً من الناحية الاقتصادية لكنها ضعيفة عسكرياً مثل سنغافورة وسويسرا واليابان، وكذلك ما هي رتبة الكيان الإسرائيلي الذي اغتصب الأرض الفلسطينية ويستفيد من الدعم العسكري المطلق للولايات المتحدة الأميركية، وتتدفق عليه أموال طائلة من خلال منظمات صهيونية، وأصبح يمتل سلاحاً نووياً ومع ذلك تعرَّض لهزيمة من المقاومة اللبنانية، وكذلك فإن افغانستان الدولة الأكثر فقراً في العالم استطاعت هزيمة القوتين العظميين الاتحاد السوفياتي السابق والولايات المتحدة الأميركية، وذات الأمر بالنسبة لكوريا الشمالية فهي تمتلك قوة عسكرية ونووية ومع ذلك فهي دولة فقيرة من الناحية الاقتصادية.

لذا فإن ترتيب الدول من حيث القوة، هو أمر معقَّد بعض الشيء، لذا يجري الحديث عن تأثير الدولة على غيرها من الدول، او ما يعرف بحركتها على الصعيد الدول، ومن أمثلتها لبنان الذي وإن كان لا يملك أي مقومات عسكرية أو اقتصادية، فإنه يشغل العالم من أقصاه إلى اقصاه[٢].

ومن هنا فإن تحديد قوة الدولة يقوم على مؤشرات من الصعب تحليلها أو اعطائها قيم تتفق وحجمها الحقيقي. ومن هذه المؤشرات: الرقعة لجغرافية للدولة، تكوينها السكاني، والفاعلية.

الفقرة الأولى: التكوين الجغرافي للدولة

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١١٩.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٧.

تشغل كل دولة جزءاً معيناً من مساحة سطح الأرض حيث يكون لها السيادة التامة عليها، فالدولة أساساً هي ظاهرة مساحية فلا توجد دولة بدون أرض يقيم فوقها سكانها الذين يؤمنون من مواردها معيشتهم ، ومن خلال اتباطهم التاريخي بها يكوِّنون أمة متماسكة تدافع عن أرض هذه الدولة وتضحي في سبيلها.

وكلمة أرض لا تعني فقط الحيز والامتداد المساحي للدولة فقط، ولكنها تتضمن أيضاً الملامح الطبيعية التي تميز هذا الامتداد الجغرافي للدولة. وتشمل هذه الملامح موقع وشكل الدولة وحجمها ومناخها والتربة والمياه والموراد الطبيعية تحت سطح الأرض. ومن خلال هذه الملامح تتحدد الأنشطة التي يقوم بها المواطنون.

أولاً: منطقة النواة

تستخدم عبارة "منطقة النواة" للدلالة على المنطقة التي كانت أساس تكوين الدولة، أو للدلالة على المنطقة التي تعتبر مركز نشاط اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي.

١ – منطقة النواة كمنطقة أساس في تكوين الدولة

منطقة النواة هي المنطقة الناشئة عن نمو الدولة واتساع رقعتها من منطقة يتركز بها السكان وتتوافر بها كل مقومات التركز، وهي منطقة القلب. وهي تفيد في تعيين كيفية نشأة الدول، لذا فهو يساعد على تقسيم الدول إلى فئتين، فئة الدول التي نمت بدءاً من منطقة نواة رئيسية، وتطوَّرت تاريخياً وعلى مراحل طويلة ومعقدة لتصل إلى حالتها الراهنة، وفئة الدول التي نشأت بشكلٍ فجائي أو انفصالي عن دولة أخرى، مثل الأردن، أرمينيا، أذربيجان، باكستان[1]، جمهوريات آسيا الوسطى..، وحتى بالنسبة لهذه الدول المتكونة

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٣٣.

حديثاً، لإن تعيين حدودها الحالية لم يكن وليد صدفة، إنما لا بد من وجود ارهاصات تاريخية تفيد عن تكوُّن حدود هذا الإقليم الحالية انطلاقاً من منطقة نواة.

لذا يمكن أن نؤكد أنه لا توجد دولة لم تنمو حول منطقة قلب أو نواة. ولا يوجد تكوين سياسي قائم إلا ويمكن اكتشاف أصله أو منطقة بدايته الجغرافية. إذ أن معظم دول العالم القديم نمت من خلال عملية نمو التحامي بدءاً من منطقة صغيرة وسرعان ما توسَّع بضم المناطق الأخرى المجاورة لها. ونذكِّر بان أول من قال بنظرية أن الدولة كائن حي هو فريدريك راتزل (F. Ratzel) في العام ١٨٩٧، حيث أوضح أن الدولة عبارة عن خلايا مساحية صغيرة يزداد حجمها تدريجياً كلما ضمَّت مساحات أكثر.

وفي الدراسة التي أعدها دوتش (Deutsh) حول نمو الأمم، لاحظ بأن السمة الرئيسية في هذه العملية هي وجود منطقة نواة تتميز بخصوبة تربتها بما يسمح بانتاج زراعي وفير مع وجود فائض غذائي يكفي لسد رمق أعداد إضافية من السكان غير الزراعيين، وأن هذه المنطقة تتمتع بملامح طبيعية حصينة تسهل له عمليات الدفاع وصد هجمات المعتدين، وتؤمن من جهة ثانية الاشراف على طرق النقل الرئيسية، وهذا ما يسمح بازدياد اعداد السكان المستقرين في هذه المنطقة. وتتحول هذه المنطقة لمنطقة تواة رئيسية عند الانتقال إلى نظام الفائض والتبادل وتطور عملية التكامل بينهما لتضمن نمو المدن والمراكز التجارية والصناعية وإنشاء شبكات الطرق التي تربط المدن املختفة بالعاصمة التي تقع في منطقة النواة التي تمثِّل العصب الحساس للدولة[١].

ولهذا اكتسبت منطقة النواة قيمتها عند تفسير نشأة الدولة وتطورها. وأن مناطق النواة تعد عاملاً هاماً في نمو وظهور الدولة المتكاملة. ولكن لهذه القاعدة استثناءات، كالولايات المتحدة الأميركية حيث تكونت الدولة الموحدة المنماسكة من غير وجود منطقة نواة رئيسية محددة، إنما كانت هناك مجموعة مناطق اتحدت مع بعضها البعض في توازنٍ لتوفر

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٣٦.

الأساس لإقامة الوحدة القومية. وكذلك الحال النروج فإن مجموعة من النواة المتفرقة يجمعها البحر فقط، هي التي وفَّرت القاعدة الأساسية للوحدة القومية والدولة المعاصرة، لأن منطقة النوات ليست ضرورية وغير كافية لظهور الأمة أو الدولة، إنما المهم هو ظهور فكرة الوحدة التي تقنع الأفراد في جميع المناطق بوحدة الانتماء إلى هذه الدولة[١].

يشارُ دائماً إلى فرنسا على أنها حالة كلاسيكية للدولة التي لها منطقة نواة مميزة نمت حولها مناطق أخرى على فترات طويلة من الزمن، حتى تشكَّل الهيكل الحالي للدولة الفرنسية. بدأت هذه الولادة في العام ٨٤٣ م بنتيجة انقسام الأمبرطورية الكارولينجية إلى إمارات، ومن هذه الإمارات، إمارة باريس التي تحتل مكاناً طبيعياً بين ضفتي نهر السين وتبعد ١٥٠ كم عن البحر.

أما سويسرا، فكنت نواتها مكونة من أربع كانتونات من الغابات يمرُّ عبرها ممر سانت جوثارد الاستراتيجي الذي حدثت فيه كل الأساطير البطولية للشعب السويسري[٢].

وفي منطقتنا العربية، فإن هناك استحالة في تحديد منطقة النواة التي تكوَّنت منها الدول، إذ أنها دول ممتدة في التاريخ القديم بحيث يختلف الباحثون في التكوين الفعلي لهذه الدول، فمثلاً، إن سوريا شتقة من اسم بلاد سورا أي البلاد المقدسة، التي كانت نواتها مدينة سورا ماري التي تعني الأم المقدسة التي يعود تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، ولقد تعاقب على سوريا عدة حضارات أبرزها، السومرية الحورية، الحثية، البابلية، الفنيقية، الساسانية، فالعربية. وكانت بلاد سورا تمتد من نهر هاليس قرب انقره غربا الي الحدود الشرقيه لكردستان ايران شرقا ,ومن القفقاس شمالا الي مدينه الزرقاء الاردنيه تخوم صحراء العرب جنوبا . حتي نهاية عصر مماليك أل ايوب ١٥١٦م كانت تتمتع بوحدتها المذكوره اجمالا ,وبعد ذلك التاريخ بدأت تتقلص الدولة السورية، حيث تنازل الفرنسيون عن منطقة كليكيا

---

(١) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٣٥.

(٢) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٤٥.

للاتراك بموجب تسويه ١٩٢١/١٠/٢٠، ثمَّ تنازلت عن لواء اسكندرون عام ١٩٣٨ لصالح تركيا . وفي قلب الاراضي السورية الجنوبية تكونت دول لبنان, فلسطين, شرقي الاردن.

كما هو الحال بالنسبة لسوريا، فإن تكوين الدولة اللبنانية أو نواة لبنان، يعود لحضارات ما قبل الميلاد، إذ أن لفظ لبنان" هو لفظ مستمد من اللغات السامية القديمة، وقد بقي عبر العصور محافظا على أصله دون اختلاف يذكر. واستعمل ذات الاسم كل من الأكاديين، والأشوريين والبابليين، والآراميين، والفينيقيين والعبرانيين، وعنهم اشتق اليونان والرومان الاسم "ليبانوس، وكذلك أبقى العرب على التسمية.

ومن يراجع تاريخ المدن والبلدات اللبنانية، يجد أن لكلٍ منها حضارتها وتاريخها الذي يثبت أصالتها. فلا ندري أيهما مركز الثقل الحضاري والاقتصادي، هل هي بعلبك أم صور ام صيدا أم طرابلس أم جبيل أم البترون أم الكورة، أم بيروت، أم .. بالواقع كلها مدن تصلح أن تكون نواة للبنان. إذ كل مدينة كانت تشكِّل مملكة من الممالك القديمة، حيث لم يكن يهتم الفينيقيون بدولة واحدة وإنما بممالك مستقلة. وقد تعرضت المدن اللبنانية لغزوات آشورية وفارسية حتى جاء الإسكندر المقدوني حوالي ٣٥٠ق.م. وبعدها انتقلت السيطرة إلى الإمبراطورية الرومانية حوالي سنة ٦٤ ق.م. .

وفي العام ٦٣٢ م خضع لبنان لحكم الخلافة الإسلامية، وفي عهد الحكم العثماني، نشبت عدة ثورات في جبل لبنان مناهضة للوجود العثماني، وبعد حروب وثورات وفتن وتدخل أجنبي، تشكلت نواة لبنان، في العام ١٨٦١ من أقضية الكورة البترون كسروان المتن الشوف جزين زحلة بالإضافة إلى مديريتي دير القمر والهرمل. وهي ما عُرِف بمتصرفية جبل لبنان.

وبعد الاحتلال الفرنسي للبنان وسوريا، وبناءً على مطالبات لبنانية، أنشِئت الدولة اللبنانية بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠ بناءً على قرار المفوض السامي، حيث جرى توسيع متصرفية جبل

لبنان بضم الأقضية الأربعة إليها وهي: حاصبيا راشيا بعلبك والبقاع وولاية بيروت وملحقاتها ومدينة طرابلس.

٢-منطقة النواة كمركز نشاط اقتصادي أو سياسي

منطقة النواة بهذا المعنى هي الإقليم الذي يتميز بنشاطٍ اقتصادي مميز، ويضمُّ بين جنباته مدناً وقرى وكثافة سكانية، وتسمى بمنطقة الريادة الاقتصادية في الدولة، أو منطقة النواة المعاصرة.

وعرَّف ويتلسى (Whittlesey) منطقة النواة بأنها المنطقة التي تتبلور حولها الدولة، ولهذا تكون من أكثر مناطق الدولة سكاناً. وغالباً ما تكون هي المنطقة التي تقع حول العاصمة وتضمُّ غالبية السكان والموارد والقيادة السياسية الرئيسية[١].

فمثلاً، في تركيا، فإن منطقة نواة، هي تلك التي تقع عند المضائق التركية، وفي منتصف أمبرطوريتها المترامية الأطراف، وعلى ذلك فإن استانبول كانت أنسب موقع لمركز الحكومة. لكن بعد أن فقدت تركيا أراضيها في القارة الأوروبية وتوقفت التجارة بينها وبين الدول الواقعة على البحرين الأسود والأبيض، خسرت استانبول أهميتها كمنطقة نواة، وجرى اختيار مدينة أنقرة لتكون نواة الدولة التركية وعاصمتها، لموقعها في قلب الأناضول ولكون كافة سكانها هم من القومية التركية.

وفي إيطاليا، تعد مدينة روما بمثابة منطقة النواة الرئيسية، واحتفظت بموقعيتها كمحورٍ للدولة على مدى ٢٥٠٠ سنة تقريباً اي منذ تأسيس الأمبرطورية الرومانية القديمة، حيث لا تزال مركز العلوم والفنون والآداب ولها الدور الريادي في الشؤون السياسية والثقافية بسبب تاريخها العريق. إلا ان مدينة ميلان استطاعت أن تنتزع منها الدور الاقتصادي، بحيث تعد هذه الأخيرة هي النواة الاقتصادية لدولة إيطاليا.

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٣٦.

وفي الولايات المتحدة الأميركية وكندا، فإن مناطق النواة هي مناطق التركز الصناعي وتشكل ١٠% من مساحة كل من الدولتين، ويقطن بهذه المناطق نحو ٥٠% من السكان، و٧٥% من القوى البشرية العاملة. وفي استراليا، فإن الموانئ الساحلية ميلبورن وسيدني هما مناطق النواة الأساسية، وتمتازان بالكثافة السكانية وبكونهما مراكز الصناعة[١].

ثانياً: موقع الدولة

يعتبر الموقع الجغرافي أحد العوامل المهمة التي تؤثر في الجغرافيا السياسية للدولة لتأثيره على اتجاهات سكانها والسلوك السياسي لحكومتها. وتحلل الجغرافيا السياسية الموقع وأثره في الدولة من ثلاث اتجاهات هي، الموقع الفلكي، الموقع بالنسبة لليابس والماء ، الموقع بالنسبة للدول المجاورة.

١ – الموقع الفلكي:

يحدد الموقع الفلكي لموقع الدولة على سطح الكرة الأرضية وفقاً لخطوط الطول والعرض. وللموقع الفلكي أهمية خاصة في حياة أي دولة، إذ أنه يوضح الخصائص المناخية للدول. ومن المعروف أن المناخ يؤثر بصورة غير مباشرة على قوة الدولة، إذ يتحدد على أساسه إمكانيات الدولة الزراعية وما إذا كانت تحتوي على غابات أم أنها دولة صحراوية، كما يؤثر المناخ على الهيكل الاقتصادي للدولة، إذ تصنَّف على أساس الخصائص المناخية، للمواقع الأفضل ملاءمة لتطور الإنسان، وفي الوقت الحالي نجد أن القوى العظمى تقع في المناطق ذات المناخ المعتدل، أما في الزمن القديم، فإن الأقاليم الحضارية والقوى العظمى والأمبرطوريات القديمة ارتبط وجودها بانواع محددة من المناخ، إذ أن هذه الحضارات نشأت في المناطق المدارية أو شبه المدارية، وذلك للإستفادة من وجود لصحاري التي تحيط بهذه

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٤٦.

الحضارات القائمة على شواطئ الأنهر، فتشكل هذه الصحاري بمثابة موانع طبيعية تجمي الحضارات من الأخطار الخارجية[1].

ويعكس الموقع الفلكي مدى ملاءمة الدولة للحياة البشرية والتقدم الحضاري، إذ تتركز الدول المتقدمة في العروض المعتدلة. ولا يعنى هذا أن الحضارات نشأت أول ما نشأت في تلك العروض، ولكنها نشأت في الأقاليم المدارية وشبه المدارية حيث تتوافر السهول الفيضية والمياه، وكانت الصحراء حول هذه السهول الفيضية تعتبر بمثابة الدرع الواقي للحضارة في المناطق السهلية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى المناطق المعتدلة في الشمال عن طريق الاستعمار الوافد من الشمال وهيمنته على تلك الأقاليم الحضارية. وترتب على ذلك البيئة الاستوائية محكوم عليها بالتأخر نتيجة لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة طول العام، مما لا يشجع الإنسان على بذل مجهود للتقدم، أمّا المناطق المعتدلة فيشجع مناخها على بذل المجهود للتقدم، وبالتالي فالعناصر السوداء، التي تتفق في توزيعها مع النطاق الاستوائي تعيش في الماضي، والأجناس الصفراء تعيش الحاضر، والأجناس البيضاء صاحبة المدنية تعيش في المستقبل .

٢ – الموقع البحري

يُقصد به موقع الدولة بالنسبة للبحار، والمحيطات، وهو يحدد شخصية الدولة، ويسهم في رسم سياستها وإستراتيجيتها، وتطل معظم دول العالم على بحار أو محيطات، ومنها مالا يطل على أي بحار أو محيطات، وتعرف بالدول الداخلية أو الحبيسة.

ويؤدي الموقع الساحلي للدولة إلى غناها الاقتصادي، واحتكاكها الحضاري، وبالتالي قوتها، وتقدمها، وينعكس هذا على سكانها، الذين يتميزون بما يعرف بالنظرة العالمية ويظهر هذا في سعة أفقهم، وتفتح أذهانهم، وانطلاقهم الحضاري. ويرجع ذلك إلى أن البيئات الساحلية

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٦٣.

ترتبط دائماً بالعالم الخارجي، وتيارات الحضارة، ومحاور التقدم، إضافة إلى أنها تتطلع دائماً إلى كل جديد ولا تعرف العزلة، في حين أن سكان الدول الداخلية كثيراً ما ينعزلون عن مثل هذه المؤثرات والتيارات. وكل هذه الظروف تؤثر بدورها في الجغرافيا السياسية للدولة.

لذا كان موقع الدولة بالنسبة للبحار والمحيطات وإطلالتها على واجهة بحرية هو من أكثر المفاهيم أهمية في الجغرافيا السياسية، وتتفاوت الدول فيما بينها من حيث مدى إطلالها على واجهات بحرية، فهناك العديد من الدول الحبيسة التي ليس لها أي منفذ بحري مثل: أثيوبيا وتشاد ومالي وأفغانستان وأوزباكستان وقيرغزستان ومنغوليا وسويسرا والنمسا والتشيك والبيرو والباراغوي (رقم ٧: خارطة دولة أفغانستان)، وهناك دول تمتلك واجهة بحرية واحدة مثل لبنان وسوريا وبلجيكا وهولندا والبرازيل وفيتنام (رقم ٨: خارطة دولة لبنان)، وهناك دول تطل على بحرين مثل مصر المكسيك وجمهوريات أميركا الوسطى والمغرب واليمن وجنوب أفريقيا وكوريا والهند وماليزيا (رقم ٩: خارطة دولة الهند)، وهناك دول تطل على ثلاثة بحار أوأكثر ومن أمثلتها تركيا اليونان والولايات المتحدة وكندا (رقم ١٠: خارطة دولة تركيا)، وهناك الدول الجزرية مثل اليابان وأندونيسيا ومدغشقر وبريطانيا وإيسلندا (رقم ١١: خارطة اليابان).

وللموقع البحري أهمية لما يوفره من مميزات بحرية للدول المطلة على البحر، والدول الجزرية مثل بريطانيا واليابان التي لا تشترك في حدود قارية مع دولٍ أخرى تكون في منأى عن المشكلات التي تنجم عن الصراع على بعض الأراضي الحدودية، هذا عدا عن أن هذه البحار تشكِّل حماية طبيعية تجعلها بمنأى عن الغزاة.

فمثلاً، أدى الموقع البحري دوراً كبيراً في بناء إمبراطورية سياسية واقتصادية كبيرة في بريطانيا. حقاً، قامت الثورة الصناعية في إنجلترا على المواد الخام المحلية ورأس المال الإنجليزي، لكن لا شك أن موقعها البحري ساعدها على السيطرة على مستعمرات تستورد منها المواد الغذائية والمواد الخام، كما أصبحت هذه المستعمرات سوقاً لتصريف المنتجات

البريطانية، وأنشأت بريطانيا أسطولاً تجارياً يساعد في ذلك، وأسطولاً حربياً يؤمن الطريق للأسطول التجاري. ولتوضيح أثر الموقع البحري نُقارن بين السويد والنرويج، إذ أن كليهما متجاوران في شبه جزيرة اسكنديناوه. لكن النرويج تتسم بطبيعتها الجبلية وفقرها في الموارد الزراعية، لكنها ذات ساحل بحري طويل كثير المرافئ والموانئ الطبيعية الصالحة للملاحة، لذلك فهي دولة بحرية من الطراز الأول، ولها أسطول تجاري ضخم، وتزدهر بها حرفة صيد الأسماك. في حين أن السويد المجاورة لها تمتلك أراضي زراعية خصبة مستوية، وساحلها على بحر البلطيق متجمد فترة طويلة من السنة. لذلك فهي لم تتجه صوب البحر. كما يؤثر الموقع البحري والبري كذلك في نوع الدفاع الذي تعتمد عليه الدولة. وبغض النظر عن سلاح الطيران، الذي يوجد بكل من الدول البحرية والقارية، فيُلاحظ أن الدول البحرية تركز اهتمامها بصورة أكبر على بناء الأسطول التجاري والحربي والغواصات، في حين أن الدول القارية تركز على إعداد الجيش البري، ومثال ذلك: الجيش البريطاني الذي يعتمد على القوة البحرية والجيش الروسي الذي يعتمد على القوة البرية[١].

وكانت روسيا عبر تاريخها الطويل في صراعٍ للوصول إلى البحر، ففي العصور الأولى اكتفت الدولة الروسية بالتحكم بالأنهار القابلة للإبحار، وكان أول اتصال روسي بالبحار عن طريق التمدد شمالاً باتجاه المحيط القطبي الشمالي، لكن هذا المنفذ كان ذا قيمة محدودة لسببين أولهما طبيعة المحيط القاسية وثانيهما صعوبة الوصول إل هذا المنفذ عن طريق البر، إذ انتظر الروس حتى منتصف الحرب العالمية الأولى ليمدوا خطوط سكك حديدية من داخل روسيا إلى ميناء مورمانسك الواقع على بحر بارنتس (المحيط المتجمد الشمالي). أما الاتصال بالبحار الأخرى المحيطة بروسيا فحصل بفترات مختلفة من التاريخ، في العام ١٥٥٧ تمددت روسيا باتجاه بحر قزوين عند حدودها الجنوبية الشرقية، وفي العام

---

[1] http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography11/geography/sec254.doc_cvt.htm.

١٦٣٥ وصلت شرقاً إلى بحر أوخوتسك المتصل بالمحيط الهندي، وفي العام ١٧٠٠ تمددت غرباً باتجاه منطقة سان بطرسبرغ، لتطل على بحر البلطيك شمال أوروبا (فنلندا والسويد والدانمارك وأستونيا) الذي يتصل بالمحيط الأطلسي، وفي العام ١٧١٣ واصلت التوسع جنوباً باتجاه بحر أوزوف الواقع ما بين أوكرانيا وجبال القوقاز، ومن خلاله وصلت في العام ١٧٨٣ إلى البحر الأسود.

رغم تعدد المنافذ البحرية الروسية، إلا أنها لم تكن ترضي هذه الدولة –الأمبرطورية، لأنها كانت إما سواحل طويلة مطلة على المحيط المتجمد الشمالي الذي يبقى متجمداً كوال العام وعديم الفائدة على الرغم من أن روسيا وكندا حاولتا الستغلال هذا المحيط عبر كاسحاتا لثلوج واليران، إلا أنه حتى اليوم لا يعتبر طريقاً مفضلاً للنقل البحري، أو تؤدي إلى بحار مغلقة مثل بحر قزوين، أو شبه مغلقة كبحر البلطيك والبحر الأسود، أو تؤدي إلى مناطق بعيد غير مأهولة بالسكان مثل شمال المحيط الهادي. لذا سعت روسيا إلى الوصول إلى منافذ بحرية جديدة، فاتجت لاحتلال إيران لكي تطل على المحيط الهندي ولكنها لم تفلح، ومارست ضغوطاً على تركيا من أجل منعها من الهيمنة على البحر الأسود عبر التحكم بمضيق البوسفور، وكذلك مارست ضغوطاً على الدول الإسكندنافية للحصول على منفذ على المحيط الأطلسي. ولا تفسَّر هذه المحاولات إلا بالرغبة في كسر معوقات الموقع المغلق[١] (رقم ١٢: خارطة التوسع الروسي باتجاه البحار).

وتبرز أهمية البحار، في أن الدولة تلجأ إلى البحر في حالة قلة الموارد الأرضية، والدول ذات الموقع البحري لها تأثير واسع في توجيه الاقتصادي والمسار السياسي لتلك الدول، وظاهرة النهضة الصناعية البريطانية كانت مرتبطة بالفترة الاستعمارية حيث اقدمت هذه الدولة الجزرية (المؤلفة من جزر بحرية)، على استعمال قدراتها البحرية لاستعمار دول

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٦٧.

عديدة غنية بالمواد الأولية التي ساهمت في النهضة الصناعية، كما استخدمت البحار لتأمين أسواق لمنتجاتها الصناعية.

ويمكن النظر إلى قارة أوروبا على أنها نطاق شبه جزري، وأن مساحتها الصغيرة نسبياً، دفعها للاهتمام بالبحار، حتى استطاعت السيطرة على البحار ومن خلالها على مساحات كبيرة من قارات العالم. (رقم ١٣: خارطة القارة الأوروبية والبحار المحيطة بها).

وعلى النقيض من القارة الأوروبية فإن القارة الأسيوية، هي قارية الطبيعة، فمساحتها الشاسعة ووجود سهول خصبة ممطرة تستوعب أعداداً كبيرة من البشر، دفعها للاهتمام باستغلال مواردها الأرضية ولم تعر اهتماماً للبحار بذات الاهتمام الذي بذلته أوروبا[١].

٣- الموقع القاري

الموقع القاري هو الذي يبيّن حدود الدولة بالنسبة إلى الدول المجاورة داخل القارة، ويطلق عليه موقع الجوار أو الموقع المتاخم، وعلى أساسه تترتب علاقة الدولة بالدول المجاورة التي تشترك معها في الحدود، فإذا كانت الدولة تجاور دولة أخرى تعادلها في القوة أو ترتبط معها بمواثيق حسن جوار أوعلاقات مميزة، فإن ذلك سينعكس على حجم الانفاق العسكري للدفاع عن الحدود، وتوجه إمكانات الدولة لمشاريع التنمية الداخلية. هذا عدا عن أن الحدود ستصبح عامل مساعد في النشاط الاقتصادي، وخير مثال هو الحدود الكندية مع الولايات المتحدة الأميركية التي تشهد نشاطاً تجارياً وسياحياً واسعاً، وعلى النقيض فإن الدول المتجاورة التي تتفاوت في الحجم والقوة، فإن الدولة الصغيرة أو الضعيفة ستكون في حالة تبعية للدولة المجاورة القوية، ومن أمثلتها دولة بولندا التي لم تعرف الاستقرار قبل الحرب العالمية الثانية، إذ كانت تقع بين ثلاثة قوى كبرى هي ألمانيا في الغرب وروسيا في الشرق والنمسا في الجنوب (رقم ١٤: خارطة دولة بولندا).

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٦٨.

هذا ويضع الموقع المغلق عوائق خطيرة أمام الدولة التي تسمى بالحبيسة. حيث تتعدد عيوب هذا الموقع القاري أو الداخلي، لأن الدولة المغلقة أو الحبيسة تحتل موقعاً معزولاً بالنسبة للتجارة الدولية، لأن هذه الدولة تعتبر محرومة من الاتصال المباشر بدول العالم الأخرى غير تلك التي تشاركها الحدود. وتصبح هذه الدول الحبيسة رهينة علاقتها مع دول الجوار ذات المنافذ البحرية، وتصبح دائماً خاضعة لإملاءاتها. ولهذه الأسباب يمكن تفسير الاهتمام الكبير والدائم من الدول الحبيسة في محاولاتها للحصول على منفذ للوصل إلى البحر، وخير مثال على ذلك هو دولة العراق، التي تعدُّ من الدول المتوسطة المسحة، إلا أن لها منفذ بحري وحيد في منطقة شط العرب، ولولا هذا المنفذ لكان العراق دولة قارية (رقم ١٥: خارطة شط العرب). ويدخل احتلال العراق للكويت بهدف توسيع المنفذ البحري للعراق أكثر من الاهتمام بالنفط الكويتي، ذلك أن ضيق النافذة الساحلية المتاحة للعراق على الخليج العربي والتي تزاحمه فيها إيران، لم تكن لتتناسب مع قدرات العراق وطموحاته، وهو ما دفعه لاستخدام فائض القوة في توسيع حدوده واحتلال الكويت.

ومن حيث الموقع القاري والاشتراك في الحدود مع دول مجاورة، يجري تصنيف الدول على أساس عدد الدول المجاورة لها:

- دول لا جيران لها وهي الدول الجزرية (رقم ١٦: خارطة دولة اليابان).
- دول لها حدود مع دولة مجاورة واحدة، ومن امثلتها: البرتغال، النروج، إيرلندا، غمبيا، كندا، كوريا الجنوبية، قطر. (رقم ١٧: خارطة دولة قطر).
- الدول التي لها حدود مشتركة مع دولتين، ومن أمثلتها: اسبانيا، هولندا، تونس، المغرب، اليمن، الكويت، المكسيك (رقم ١٨: خارطة المغرب).

- الدول التي لها حدود مشتركة مع ثلاث دول، ومن أمثلتها: مصر، انغولا، غانا. (رقم ١٩: خارطة غانا).
- الدول التي لها حدود مشتركة مع أكثر من ثلاث دول، ومن امثلتها: إيران سوريا، والسودان والصين (رقم ٢٠: خارطة إيران).

كلما كانت حدود الدول بعيدة عن بعضها البعض وخاصة في الدول الجزرية، كلما أدى هذا إلى تقليل المنازعات والحروب بينها، حيث تعرقل البحار عمليات الغزو وتعوقها، وأفضل مثال على ذلك بريطانيا التي لم تغزها أي قوة منذ عهد وليم الفاتح. أمّا طول الحدود البرية فيعتبر عامل خطر يُهدد الدولة. ونتيجة لهذا أُنشئت الدول الحاجزة بين القوات المتنازعة، مثال ذلك أفغانستان، التي كانت تفصل بين المصالح الروسية في الشمال والمصالح البريطانية في المحيط الهندي.

وإذا كانت الحدود البرية الطويلة تفصل بين دول صديقة، فيعتبر هذا ميزة، كما هو الحال بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية. إذ تنساب المواد الخام الآتية من كندا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بينما تسافر السلع المصنوعة، ورأس المال، والخبرة من الثانية إلى الأولى عبر هذه الحدود، ويؤدي هذا التعاون بدوره إلى القوة والتقدم الاقتصادي، ولكن قد يحدث العكس فالدول الكبيرة التي تجاور دولاً صغيرة تحاول أن تستولي عليها، مثال ذلك: ما حدث بين روسيا (الشاسعة المساحة، والكثيرة السكان، والقوية عسكرياً) ودول شرق أوروبا، إذ استولت عليها وأدخلتها في فلكها لأنها صغيرة المساحة، ومتوسطة السكان، وضعيفة عسكرياً إذا ما قورنت بالاتحاد السوفياتي سابقاً[١].

٤- قيمة الموقع

[1] http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography11/geography/sec254.doc_cvt.htm.

تتحدد أهمية الموقع من خلال وقوعه في بؤرة الاهتمام، ويكتسب أهميته بسبب سهولة الاتصال والعلاقات التجارية بين الدول، فمثلاً اكتسبت المرافئ الواقعة على ضفاف المحيط الأطلسي الشمالي أهمية كبيرة في العصور الحديثة لوقوعها بين إقليمين صناعيين هما غربي أوروبا وشرقي أميركا الشمالية.

وتتغير أهمية الموقع بتغير الحضارات، ففي الماضي القريب كان البحر الأبيض المتوسط من أهم بحار العالم لازدهار عدة حضارات على ضفافه، وبالعكس فإن المحيط الأطلسي في ذاك الزمان كان يسمى ببحر الظلمات. وكذلك زادت أهمية موقع سنغافورة مع تزايد حركة التجارة بين دول شرق آسيا (اليابان، الصين، وكوريا) ودول الشرق الأوسط وأوروبا[1].

ويقصد بالموقع الاستراتيجي الموقع الذي يضيف إلى المنطقة التي تسيطر عليه ميزة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية عن غيرها من الدول. وتعتبر المضائق التي تقع على الطرق التجارية الدولية من أكثر المواقع اكتساباً للأهمية الاستراتيجية، مثل:

- مضيق جبل طارق الذي يربط بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط.
- مضيقي البوسفور والدردنيل في ترميا اللذان يربطان البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طيق بحر مرمرة، وهما المنفذ البحري الوحيد الذي تعبر عبره كل من روسيا وأوكرانيا باتجاه الشرق الأوسط وأوروبا الغربية والمحيط الأطلسي، وهذا ما أكسبهما أهمية استراتيجية.
- مضيق هرمز والذي تشرف عليه سلطنة عمان و إيران.
- مضيق باب المندب و الذي تشرف عليه اليمن و جيبوتي.
- مضيق تيران و الذي تشرف عليه السعودية و مصر .

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٧٣.

كذلك تكتسب الأهمية الاستراتيجية، القنوات الملاحية التي تشق في اليابسة لتسهيل ربط البحار والمحيطات، مثل قناة السويس التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وكذلك تؤمن طريقاً قصيراً يربط بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، إذ قبل حفر هذه القناة كان المرور عبر رأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا هو الممر الوحيد ما بين المحيطين، فمثلاً كان على السفن البريطانية– قبل حفر قناة السويس – أن تقطع مسافة ١٧٠٨٨ كم لتصل إلى بومباي في الهند، أما بعد حفر هذه القناة فالمسافة تقلصت إلى أقل النصف إذ تبلغ المسافة عبر قناة السويس نحو ٩٩٦٠ كم. (رقم ٢١: خارطة قناة السويس).

ومثال آخر عن القنوات البحرية، نذكر قناة بنما التي تربط شمال المحيط الأطلسي بشمال المحيط الهندي. فقبل حفر القناة كانت وسيلة الاتصال بين هذه السواحل تتمُّ عبر الطريق الطويل الذي يلفُّ أميركا الجنوبية. فمثلاً إن رحلة بحرية بين سان فرانسيسكو الواقعة على المحيط الهادي ونيويورك الواقعة على المحيط الأطلسي، تستوجب الالتفاف حول النصف الجنوبي للقارة الأميركية وقطع مسافة ٢١٠١٦ كم، أما بعد حفر قناة بنما فالمسافة تقلصت إلى الثلث تقريباً إذ أصبحت هذه المسافة عبر قناة بنما نحو ٨٤٢٠ كم (رقم ٢٢: خارطة قناة بنما).

والموقع الاستراتيجي عادةً ما يكون قاصراً على بعض الدول أو تحدد قيمته دول أخرى لها مصالح في هذا الموقع. ولكن نشير بأن أهمية الموقع الاستراتيجي تتغير باستمرار بتغيُّر الظروف السياسية والاقتصادية. فدولة تطل على واجهة بحرية واحدة تختلف أهميتها من دولة تطل على واجهتين أو عن دولة حبيسة. ويقتضي الإشارة عنها بأن الأهمية الاستراتيجي لأيّ موقعٍ ما لا يمكن أن تبقى كما هي، ولكنها تتغير تبعاً لتغير موازين القوى والتقدم التكنولوجي في العالم، فلقد ازدادت قيمة قناة السويس باكتشاف البترول في الخليج الفارسي، حيث أصبحت هذه القناة هي الممر لناقلات النفط الأوروبية باتجاه هذه المنطقة.

وكذلك تدهورت قيمة جزر فوكلاند بعد حفر قناة بناما، ففي القرن االثامن عشر احتلت بريطانيا هذه الجزر الواقعة في جنوب المحيط الأطلس إلى الشرق من الأرجنتين، وكانت هذه الجزر تتحكم بطرق الملاحة المؤدية للطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية، فأدى حفر قناة بنما إلى التقليل من أهمية هذه الجزر.

وكذلك الحال بالنسبة لجزيرة إيسلندا، فقد تأثر موقعها بالظروف العالمية، فأحياناً كان موقعها يحتل أهمية استرتيجية مميزة، وأحياناً أخرى يفقد هذا الموقع لأهميته. فلقد استافدت هذه الجزر من موقعها في وسط المحيط الأطلسي كمحطة لتزويد الطائرات العابرة للمحيط بالوقود. ولكن عادت وفقدت جزءاً من أهميتها عندما اخترعت الطائرة النفاثة التي تحلّق لمسافات طويلة دون الحاجة للتزود بالوقود. فزالت الهمية الاستراتيجة لهذه الجزيرة بعد أن تقلَّص عدد الطائرات التي تزود بالوقود في مطاراتها[١]. وحين أغلقت قناة السويس ما بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٤، أعيدت الحيوية لموانئ شرق أفريقيا وجنوبها، واكتسبت أهمية كبيرة، ثمَّ ضاعت قيمتها مرة أخرى بعد إعادة فتح القناة[٢].

على الرغم من أن موقعٍ ما على سطح الأرض هو موقع ثابت، فإن القيمة السياسية لهذا الموقع تتغير بصورة مستمرة. لأن التفاعل ما بين الثابت والمتغير هو القاعدة الأولى في الجغرافيا السياسية. لذا يقتضي إيلاء الاهتمام للتكامل بين الزمن والمساحة، وذلك على ضوء المتغيرات التي تحدثها تطورات معينة، مثل:

- التقدم في تكنولوجيا النقل والمواصلات وما ينتج عنه من قطع مسافات كبيرة في وقتٍ قصير بين الأقاليم والأماكن المختلفة.
- توزيع مراكز القوى السياسية الحديثة وما تحدثه هذه القوى العظمى من تغيرات.

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٧٥.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٠.

- إدراك صانعي القرار لأهمية بعض المواقع النسبية الخاصة بمصالح دولهم خلال فترة معينة من الزمن[1].

ثالثاً: مساحة وشكل الدولة

١-مساحة الدولة

تتباين دول العالم بصورة كبيرة في مساحتها، ففي الوقت الذي تبلغ فيه مساحة دولة الفاتيكان ٠,٤ كم^{٢} فإن مساحة روسيا الاتحادية تبلغ ١٧,١ مليون كم^{٢}. وقد توصَّل باوندز (Pounds) إلى حساب متوسط مساحة الدول في العالم على أساس مليون كم^{٢}، وبالاستناد إلى هذا المتوسط، جرى تصنيف دول العالم إلى ثمانية مستويات (جدول رقم ١: تصنيف الدول وفقاً للمساحة).

وتعد دراسة المساحة من العناصر الرئيسية في الجغرافيا السياسية للدولة، فمن الناحية النظرية كلما كبرت مساحة الدولة كلما استوعبت عدداً كبيراً من السكان، وكلما تنوعت مواردها الطبيعية وعدد السكان والموارد الطبيعية توافر أهم عنصرين في التطور السياسي والاقتصادي لأي دولة.

فإذا قمنا بمقارنة بين أكبر دولة وأصغرها في العالم المعاصر، فإن القوة سواءً أكانت سياسية أو اقتصادية أو حربية تكون مصاحبة للدول كبيرة الحجم في حين أن الدول صغيرة الحجم يستحيل عليها الوصول إلى مصاف الدول العظمى. وأن الدول صغيرة المساحة تكون دائماً تابعة لدولة كبرى. فإمارة موناكو تحت الحماية الفرنسية منذ العام ١٨٦١، وتعيش سان مارينو في كنف إيطاليا منذ العام ١٨٦٢.

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٧٧.

والعلاقة الإيجابية بين حجم الدولة وقوتها الاقتصادية والسياسية لم تظهر إلا في العصر الحديث، إذ في العالم القديم كانت معظم الدول الهامة تسعى إلى تصغير حجم رقعتها الجغرافيا وذلك لضمان التماسك الداخلي، وضمان قدرة الدولة على التواصل والوصول إلى الأطراف بسهولة وسرعة، وكان من الصعوبة بمكان إدارة دولة مترامية الأطراف. أما في العصر الحديث، فإن وجود وسائل الاتصال الحديثة والنقل والمواصلات السريعة جعلت من السهولة التواصل بين عاصمة القرار والأطراف. وفي الدول النامية التي تعاني من تخلف وسائل الاتصال والتواصل، تشكِّل المساحة الكبيرة نقطة ضعف في هذه الدولة وليس نقطة قوة.

وكذلك هناك علاقة إيجابية بين مساحة الدولة ومواردها، إذ كلما توسعت مساحة الدولة، فهذا يفترض بها أن تستغل هذه المساحة لتكون أقرب إلى الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على الخارج، بل إن بعض الصناعات الثقيلة تكون مرتبطة بمساحة الدولة، كالصناعات الثقيلة التي تقتصر على الدول كبيرة الحجم التي تمتلك قاعدة صناعية متكاملة، في حين أن الدول الصغيرة لا تمتلك أي من تلك الصناعات.

وبالمقابل فإن للمساحات الكبيرة وجهة سلبية إذا كانت هذه المساحة غير مرتبطة بشبكة اتصال ونقل فعَّالة، أو إذا كان عدد سكانها قليلاً لا يتناسب مع حجمها، مما يؤدي إلى وجود مناطق خالية أو شبه خالية من السكان في بعض أجزائها، مما يجعل من هذه المناطق، بخاصة إذا كانت نائية، ثقوباً واضحة يسهل اختراقها عسكرياً أو تكون نقطة ضعف فتستغل في تهريب الأسلحة والمخدرات أو لتوطن جماعات انفصالية، حيث تؤدي المساحة الشاسعة إلى ضعف الانتماء الوطني لأبناء المناطق النائية والتصاقهم أكثر بشخصيات محلية أو تنامي روح الإتنية أو الدينية مما يسهل على هؤلاء المطالبة بالانفصال عن الدولة لضعف الرابط مع هذه الدولة[1].

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٨٠.

ومن خلال دراستنا لحجم الدولة ومساحتها، يبقى ملاحظة أخيرة أنه لا يوجد حجم أو شكل مثالي للدولة، لكن عند قياس مقومات القوة، فإن هذه العوامل من الممكن أن تكون ذات مغزى وأهمية. فإذا ما تساوت باقي المقومات الأخرى، فإن الدول كبيرة المساحة ترجع قيمتها بالعمق الاستراتيجي الهام جداً في حالة الحرب. فتستطيع أن تدافع عنها في العمق، كما تقدِّم هذه المساحة فرصة تنوع الموراد الطبيعية. أما الدول صغيرة المساحة فقد لا تتوافر لها مثل هذه المقومات. وبالعكس فإن الحدود السياسية الطويلة من الممكن أن تكون عرضة للهجوم من عدة جهات[١].

أما الدول صغيرة المساحة فسرعان ما تنهار أمام هجوم عسكري ويسهل احتلال عاصمتها في وقتٍ قصير، كما حصل عندما احتلَّ العراق الدولة الكويتية في ساعاتٍ معدودة في العام ١٩٩١ (رقم ٢٣: خارطة العراق والكويت)، أو كما حدث في بعض دول أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، فقد سلمت كل من بلجيكا، وهولندا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا خلال فترة قصيرة عندما اجتاحتها الجيوش الألمانية، علماً بأن الجيش الهولندي لم يكن أقل بسالة من الجيش الألماني (رقم ٢٤: خارطة ألمانيا وهولندا).

لذا تعمد الدولة صغيرة المساحة إلى الأخذ بزمام المبادرة في الهجوم وذلك كي تبعد المعركة عن أراضيها. ومن أفضل الأمثلة على ذلك الصراع العربي الإسرائيلي الذي تبادر فيه إسرائيل باستمرار بشن الهجوم على الدول العربية المجاورة لتنقل المعركة إلى أراضي الدول المجاورة حتى لا تتأثر طاقاتها الإنتاجية، والخدمية، وسكانها المدنيون، ولتكسب مجالاً أرضياً أوسع يُمكنها من المناورة العسكرية، وهذا ما حدث في العدوان الإسرائيلي لعام ١٩٦٧، عندما نقلت المعركة إلى الأراضي المصرية في سيناء[٢]، لكن هذه الاستراتيجية لم تنجح بخلال عدوان تموز ٢٠٠٦، إذ استطاع حزب الله اللبناني من نقل إدخال العمق

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١١٩.

[2] http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography11/geography/sec254.doc_cvt.htm.

الإسرائيلي في المعركة، يُضاف إليه أنه غيَّر معادلة انهيار الدولة الصغيرة أمام الهجوم العسكري لدولة أقوى، حيث لم يُفلح الجيش الإسرائيلي في تحقيق أي تقدُّم أرضي في مختلف الجبهات، وفشل في الوصول إلي نهر البليطاني الذي لا يبعد إلا عشرات الكيلومترات عن الحدود.

بالمقابل استغلَّ الاتحاد السوفياتي السابق مساحته الشاسعة بخلال الحرب العالمية الثانية، وانتصر في النهاية بعد أن أوعز لجيوشه للتراجع للداخل آلاف الأميال، وذلك بغية تشتيت قوات العدو أثناء انتشارها بهذه المساحات الواسعة ثم انقضَّ عليها بهجومٍ مباغت أدى لتدمير القوات المعادية. فصمد أمام الغزو الألماني ومن قبله غزو نابليون بفضل اتساع مساحته إذ طبق مبدأ الدفاع في العمق، الذي يقوم على تسليم الأرض لكسب الوقت، وكان الاتحاد السوفيتي قد اتَّبعَ هذا الموقف الاخلائى عندما غزاه نابليون حتى أطال بينه وبين خطوط تموينه، وأدخله في بيئة طبيعية قاسية يجهلها مما أضطره إلى التقهقر ثانية. وقد سار الاتحاد السوفيتي على نفس السياسة مع الألمان سنة ١٩٤١، وقد فطن الألمان لهذه السياسة، ولذلك حاولوا تدمير الجيش الأحمر برجاله ومعداته عن طريق الالتفاف حوله لكنهم لم ينجحوا في ذلك.

وتكفل المساحة الكبيرة امتيازاً عسكرياً آخر، ذلك أنه إذا هُزمت دولة كبيرة فإنه من الصعب احتلال إقليمها الواسع والسيطرة عليه لا سيما إذ كانت كثيفة السكان. مثال ذلك، أن الولايات المتحدة الأمريكية يستحيل عليها أن تحتل الصين الشعبية لو أنها انتصرت عليها لأن ذلك سوف يتطلب إيجاد قوات أكثر مما تمتلك أمريكا. وتُحقق وسائل الإنذار المبكر الآن الغرض منها بفاعلية عالية، في حالة كبر مساحة الدولة، لأنها تُتيح الوقت الكافي لاتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة . فتزداد فرصة الدولة في الثبات ومواجهة الغزو الخارجي.

وأيضاً تسمح المساحات الشاسعة لأن يكون للدولة مناطق عمق محصنة من ضربات الأعداء، وتصبح معها محطات الإنذار المبكر فعَّالة بمواجهة الهجمات الجوية والصاروخية، وإن كانت التكنولوجيا الحديثة قد تجعل من أي جزء من الدولة المعادية محلاً للضربات الصاروخية أو الجوية بحيث لا تحمي التضاريس أو الطبيعة أي جزء من أجزاء الدولة مهما كان موقعها في العمق.

٢- شكل الدولة

يمثِّل الشكل الهندسي للدولة مشكلةً أقل حدة عن تلك التي تنشأ عن المساحة الجغرافيا للدولة، ولقد أعرب أكثر الباحثين أن الشكل له خاصية عشوائية وليس له دلالة حقيقية، ولكن إذا اقترن الشكل بعوامل أخرى فإنه يشكِّل عنصراً هاماً في الجغرافيا السياسية للدولة. إذ لشكل الدولة أهمية في الدفاع والإدارة الداخلية.

ويتحدد شكل الدولة وفقاً لشكل مساحتها الجغرافية، وهي اليوم تتخذ إما شكل المطول أو المحكم، أو ذو الامتداد، أو المجزَّأ، أو المثقب، أو المطرقة[١].

أ- الشكل المحكم:

هو الشكل الذي يكون فيه المركز الجغرافي للدولة واقعاً على مسافة متوازنة من أطرافها من جميع الاتجاهات، ومن الأمثلة على الشكل المحكم: فرنسا، بلجيكا، بولندا، إيران، أفغانستان.

يساهم الشكل المحكم في تقليل الوقت والمسافة بين قلب الدولة وأطرافها وهو بذلك عامل في الوحدة والتماسك، والشكل المحكم المثالي هو الشكل الدائري، فكلما اقترب شكل الدولة من شكل الدائرة كان من السهل الربط بين المركز والأطراف ليمثلا وحدة وظيفية متماسكة. ومن

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٨٦.

وجهة نظر الدفاع، فإن الشكل الدائري يحقق ميزتين، قصر المسافة بين وسط البلاد والحدود، حتى ولو كان حجمها كبيراً، ويكون لها عمق أكبر يساعد على تطبيق استراتيجية التقهقر أثناء الحروب[1]، ويعطى كمثال عن الدولة الدائرية –فرنسا، حيث كان يُعزى الاستقرار السياسي لفرنسا إلى شكلها الخماسي (رقم ٢٥: خارطة فرنسا).

ب- الشكل المطوَّل:

يمثِّل الدول التي يتعدى طولها ٦ أضعاف عرضها، ومن الأمثلة تشيلي التي يبلغ طولها ٤١٦٠ كم^{٢} بينما يبلغ عرضها ١٦٠ كم^{٢}، ومن الدول ذات السكل المطوَّل نذكر السويد، النروج، جامبيا، إبطاليا بنما، النيبال، فيتنام.

على النقيض من الشكل الدائري، فإن الشكل المطوَّل للدولة يزيد من طول الحدود، بالإضافة إلى الصعوبات التي تواجه التنقل والاتصال بين أجزاء الدولة، لذا فإن الشكل الطويل والضيّق يمثِّل عائقاً للدفاع والإدارة الداخلية، ويعطى مثال عن عدم استقرار الدولة المطولة: تشيكوسلوفاكيا، حيث انتهى بها المطاف إلى تقسيمها إلى دولتين هما التشيك وسلوفاكيا.

ومن الأمثلة عن الدول المطوَّلة نذكر الشيلي والنروج، فكلاهما عانتا من شكل الدولة، إذ لم تمتلك خطوط السكك الحديدية التي تغطي هذا الامتداد المساحي، فلجأت إلى البدائل ومنها النقل البحري أو الملاحة الساحلية، ومع ذلك فإنه وبخلاف تشيكوسوفاكيا، فإن شكل الدولة لم يكن عاملاً في مؤثراً في استقرارها، إذ حافظت على استقرارها أكثر من الدول الدائرية الشكل، إذ أن كلتا الدولتين منسجمتان مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة، فالنروج مثلاً تمتد في إقليم جبلي يضمُّ كافة المناطق المتحدثة باللغة النروجية، وهذا بعكس حالة تشيكوسلوفاكيا

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٨٣.

حيث لم يتوفر لها مثل هذه الوحدة اللغوية أو العرقية، لهذا ساهم شكلها المطول بالإضافة إلى عوامل أخرى في حدوث الإنقسام[1](رقم ٢٦ و٢٧: خارطة النروج وخارطة تشيلي).

ج- الشكل ذو الامتداد:

أي يكون للدولة امتداد جغرافي داخل إقليم دولة أخرى على شكل نتوء، بحيث تكون أراضيها ممتدة بشكلٍ ضيّق لتصل إلى منطقة استراتيجية، ومن أمثلتها: قطاع كابريفي الذي هو امتداد ناميبيا داخل أراضي زامبيا لتصل إلى نهر الزامبيزي (رقم ٢٨: خارطة ناميبيا)، أو كمثل القطاع الساحلي الضيق في منطقة تنساريم غرب تايلند وهو امتداد قاطع لدولة بورما ليصل إلى دولة ماليزيا ، وكذلك إقليم واخان في أفغانستان الممتد في طاجيكستان باتجاه الصين (رقم ٢٩: خارطة أفغانستان).

وقد يتخذ هذا الامتداد الجغرافي خارج الحدود شكل الجيب، وأشهر هذه الجيوب المتنازع عليها إقليم ناغورنو كاراباخ في أذربيجان وتطالب به أرمينيا (رقم ٣٠: خارطة إقليم ناغورنو كاراباخ)، وهناك أكثر من ٩٢ جيباً لبنجلادش في أراضي الهند، وهذه الجيوب هي بقايا نظم تاريخية ودينية وسياسية قديمة أو كنتيجة لاتفاقات عسكرية عند ترسيم الحدود.

د- الشكل المجزأ:

هي الدول المكونة من جزئين جغرافيين أو أكثر، وهو شكل له عيوب كثيرة تواجه التماسك الداخلي للبلاد، وتعيق إجراءات الدفاع عنها، وقد تأخذ هذه الدول شكل أرخبيل مؤلف من عدة جزر، مثل الفليبين واليابان وأندونيسيا، أو قد تأخذ شكل دولة قارية مؤلفة من اجزاء منفصلة مثل روسيا أذربيجان، وعمان (رقم ٣١: خارطة عمان)، والسلطة الوطنية

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٨٥.

الفلسطينية المؤلفة من قطاع غزة والضفة الغربية. أو قد تكون مؤلفة من جزء قاري وجزي بحري مثل اليونان وماليزيا وكندا (رقم ٣٢: خارطة ماليزيا).

هـ- الشكل المثقب:

يشمل الدول التي تضمُّ بين أراضيها دولة أو اكثر بحيث انها تحويها تماماً وتحيط بحدودها من جميع الجوانب. من الأمثال عن الشكل المثقب دولة إيطاليا التي تضمُّ دولاً قزمية مثل سان مارينو والفاتيكان، ودولة جنوب أفريقيا التي تضم داخل حدودها دولة ليسوتو ودولة سويزيلاند. ويُلاحظ في هذه الدول ذات الشكل المثقب، أنها تتحكم كلياً في الدولة الواقعة داخل حدودها (رقم ٣٣: خارطة دولة جنوب أفريقيا).

رابعاً: العواصم

العاصمة هي مركز القوى السياسية في الدولة، وفيها مقر الحكم والهيئات التشريعية والتنفيذية، ويُفترض بالعاصمة أن تكون من المدن المهيمنة ويقطن بها أكبر نسبة من السكان، وتكون ذات عمقٍ تاريخي ورمزاً للمشاعر القومية، وقد تكون العاصمة هي المركز الاقتصادي في الدولة، ولكن هذا ليس بقاعدة ثابتة، إذ في الدول الفدرالية لا يكون للعاصمة أي دورٍ هام في النشاط التجاري أو الصناعي، وكذلك فإن احتيار العاصة لا يكون على أساس المعايير المذكورة، بل يتمُّ اختيارها على أساس الموقع الوسط، وفي الغالب تكون مدناً جديدة.

ولكن سواءً اكانت العاصمة هي المدينة المهيمنة في الدولة أم لم تكن، فمن المفترض بها مع مرور الزمن أت تصبح المثال المصغَّر للحياة القومية للدولة، التي تتمثل بها تقاليد البلاد وتاريخها وسلطتها. وتزداد قوة هيمنة العاصمة بزيادة عدد سكانها وازدياد ثروتها الذي

يصاحبه مضاعفة الأعمال الإدارية والقيمة التجارية، كل ذلك بسبب شبكة الاتصال (بجميع أنواعها) التي تربط بين العاصمة وكافة أرجاء الدولة[1].

يرتبط بشكل الدولة موقع العاصمة بالنسبة للدولة. ويعد الموقع المتوسط في جسم الدولة أفضل موقع للعاصمة، ويُعرف بالموقع المركزي ، حيث تحتل العاصمة الوسط الهندسي للدولة، وذلك حتى يسهل الدفاع عنها من جهة، ويسهل اتصالها بمختلف أنحاء الدولة من ناحية أخرى. ومن أمثلة المواقع المثالية للعواصم الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، والخرطوم عاصمة السودان، وبغداد عاصمة العراق، وبرن عاصمة سويسرا، ومدريد عاصمة أسبانيا، ووارسو عاصمة بولندا (رقم ٤٤: خارطة العاصمة برن – سويسرا).

وتتميز العاصمة اللبنانية، بأنها المركز الاقتصادي والسياسي والسياحي والمالي، ولكن أثناء النزاع الحاصل بين أطراف سياسية لبنانية في العام ٢٠٠٧، ظهر خطاب يربط العاصمة بالطائفة السنية، وروَّج انصار هذا الخطاب بوجوب امتناع أي طرف لبناني من ممارسة نشاطه السياسي في العاصمة، لأن في ذلك مساس بالطائفة السنية، وهذا الخطاب من شأنه أن يضعف العاصمة اللبنانية كمثال مصغَّر للحياة القومية اللبنانية.

١ – أنواع العواصم

العاصمة تكون إما عاصمة طبيعية أو عاصمة اصطناعية. فالعاصمة الطبيعية هي العاصمة التي تطوَرت على مر الزمن من منطقة بمثابة قلب أو نواة، ونجحت باستمرار في وظيفتها كمنطقة قلب للمناطق الجديدة التي أضيفت إلى رقعة نواتها. وتسمى هذه العواصم أيضاً بأنها العواصم التاريخية أو الدائمة، وهي التي أدت وظيفتها باعتبارها مركزاً اقتصادياً

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٤٧.

وثقافياً ورياضياً في الدولة على مدى عدة قرون، وأوضح المثلة للعواصم الطبيعية التاريخية أو الدائمة، لندن، باريس، بيروت، دمشق، القاهرة، أثينا، روما، بغداد[١].

فبيروت عدا عن أنها تتوسط الدولة اللبنانية، فإنها من أقدم المدن في العالم، وكانت أيام الرومان تسمى بمدينة الشرائع (رقم ٤٥: خارطة العاصمة اللبنانية – بيروت)، أما دمشق فكانت عاصمة الدولة الأموية، وبغداد عاصمة الدولة العباسية، والقاهرة عاصمة الدولة الفاطمية، وأثينا عاصمة الأمبرطورية اليونانية، وروما عاصمة الأمبرطورية الرومانية..

أما العاصمة الصناعية فهي العاصمة المستحدثة التي أسست وبنيت كقطعة واحدة تقوم بوظيفتها الإدارية وكقلبٍ للدولة أو في موقعٍ متوسط. وليس من الضروري أن تكون العاصمة الصناعية أقل أهمية من العاصمة الطبيعية، إذ قد يكون بناء العاصمة الجديدة ملائماً وطبيعياً بصورة أكبر من مدينة كانت نشأتها عائدة لظروفٍ تاريخية ولها هيمنة ثقافية وسياسية. وقد تنشأ العواصم المستحدثة من خلال تحرك مناطق النواة، وهذا التغيُّر قد يؤدي إلى تغيير مكان الحكومة ووظائفها من مكانٍ لآخر أكثر ملائمة.

فواشنطن عاصمة طبيعية أكثر من نيويورك، وكانبيرا (عاصمة استراليا) أكثر من سيدني وملبورن، واوتاوا عاصمة طبيعية أكثر من تورنتو ومونتريال. لأن اختيار واشنطن وأوتاوا كعواصم لم يكن لاعتبارات اقتصادية، وكذلك فإن اختيار مدريد كعاصمة لإسبانيا لم يكن لمثل هذه الاعتبارات، لأنه لم يكن لها أي مقومات اقتصادية بالمرة، ولكن اختيارها جاء رغبةً في تجنب تركز كل من السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة واحدة. فاختيار العواصم الفيدرالية يتمُّ اختيارها لتحقق التوازن بين أجزاء الدولة وجعل السلطة المركزية في موقعٍ متوسط[٢].

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٤٩.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٤٨.

وليس من المفترض بالدولة أن تجمع كافة السلطات أو الوظائف الرسمية في مدينة واحدة، والأمثلة عديدة، منها لبنان حيث مقرات السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في بيروت، بينما القصر الرئاسي في بعبدا، وفي هولندا فإن مقر السلطة التشريعية في مدينة هاغ، في حين أن القصر الملكي في أمستردام، وفي جنوب أفريقيا تتمركز الوظائف الإدارية والحكومية في مدينة بريتوريا، بينما مقر السلطة التشريعية في مدينة كاب تاون[1].

وفي أحيانٍ اخرى تهيمن مدنٍ تتمتع بميزاتٍ خاصة على العواصم، كما هو الحالة في استراليا حيث تفوق أهمية سيدني على العاصمة كانبرا، وفي كندا تتفوق مدينة مونتريال على العاصمة أوتاوا، و كذلك تتفوق دبي على العاصمة أبو ظبي في الإمارات العربية المتحدة.

٢- العوامل المؤثرة في تطور العاصمة:

تتداخل عدة عوامل لتؤثر صورة واضحة على مدى استمرارية الوظيفة القيادية للعاصمة، لأنه كلما استمرت العاصمة في وظيفتها كلما كان لها دور في الحفاظ على شخصيتها. ونتعرف على هذه العوامل بإيجاز:

أ- العامل التقليدي والمحاكاة التارخية:

احتفظت عدة عواصم بوظيفتها على مدى معظم فترات تاريخ دولتها السياسي، ومع مرور الوقت أصبحت رمزاً قومياً حتى أن حقها الواضح في أن تظل عاصمة أصبح منقوشاً في عقول أفراد الدولة، ومن أشهر أمثلتها، لندن، باريس، روما، أثينا، القاهرة وبغداد، فلقد استطاعت هذه المدن أن تحافظ على استمراريتها كعواصم.

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٥٠.

فهذه المدن، بالإضافة إلى تقليد اعتمادها كعواصم، فإن هذه القوة التقليدية التاريخية كانت ذات تأثيرٍ قوي في اختيارها كعواصم، كاختيار مدينة طشقند التاريخية كعاصمة لدولة أوزباكستان، وحتى إذا ما اضطرت الدولة إلى اختيار مدينة أخرى كعاصمة، إلا أن العوامل التاريخية سرعان ما تتدخل لحفز الدولة على إعادة اختيارها كعاصمة. فمثلاً عندما نقلت روسيا عاصمتها من موسكو إلى سان بطرسبرغ، إلا أنها أعادت عاصمتها إلى مدينة موسكو التي تعدُّ جغرافياً وتاريخياً القلب الحقيقي لروسيا، وكذلك فإن تغيير عاصمة الهند من كلكتا إلى دلهي (نيودلهي)، إنما كان مراعاة لعاملي المحاكاة التاريخية وضرورة إنشاء عاصمة فدرالية جديدة[١].

ب- عامل الوقوع على نقاط اتصال دولية:

تكتسب المدينة التي تقع على نقاط تقاطع طرق دولية هامة، لأهميةٍ خاصة إذ من خلالها تطل الدولة على العالم الخارجي، فتستفيد من الخبرات الخارجية لدعم طاقاتها المحلية. لأن أي دولة لا تسطيع بناء حضارتها ولا قوتها بقدراتها الذاتية فقط، بل لا بد لها من تستفيد من التواصل مع العالم الخارجي. وفي الهند كان لموقع كلكتا وبومباي على الساحل الغربي الأثر في إبراز أهمية هاتين المدينتين الساحلتين كونهما نقطة الاتصال الرئيسية مع الأمبرطورية البريطانية[٢]. وكذلك مدينة بيروت في وسط الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، قد أكسبها أهمية خاصة لتكون نقطة اتصال ما بين الغرب والشرق. وكذلك لعبت مدينتي سمرقند وبخاري في أوزباكستان، دوراً اقتصادياً وسياسياً هاماً في القرون الماضية، إذ كانتا تقعان على طريق درب الحرير، وهو الطريق التجاري البري الذي كان يربط الصين وروسيا بالعالم الإسلامي.

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٥٠.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٥٣.

ج- عامل العاصمة المواجِهة

في حالاتٍ كثيراً تعمل الدولة على اختيار عاصمتها لتكون في موقعٍ معبّرٍ عن الأهداف الاستراتيجية التي تسعى الدولة لتنفيذها، فهي تختار العاصمة البحرية إذا كان توجهها نجو التواصل البحري مع الدول المجاورة، وقد تختار العاصمة القريبة من الحدود، إذا كانت ترغب بالإشراف المباشر على نزاع مع دولة مجاورة، وقد تختار موقع داخلي إذا كانت تسعى لزيادة الاهتمام بالوضع الداخلي. فمثلاً إن احتيار روسيا لمدينة سان بطرسبرج التي تقع على الحدود الغربية للأمبرطورية الروسية لتكون عاصمة لروسيا، إنما كان تنفيذاً لاستراتيجية روسيا في التعامل مع الدول البحرية غرب أوروبا، وكذلك إن اختيار مدينة إسلام آباد عاصمةً لباكستان، إنما كان بهدف أن تكون مشرفة على الحدود السياسية الملتهبة مع الهند، وذات الأمر حيث جرى اختيار مدين عشق آباد كعاصمة لدولة تركمانستان التي تقع بالقرب من الحدود مع الجمهورية الإسلامية في إيران (رقم ٤٦: خارطة عشق آباد- عاصمة تركمانستان). واختيار عاصمة جديدة للبرازيل هي مدينة برزايليا الداخلية، إنما كان تعبيراً عن تغيُّر اهتمام الدولة باتجاه الداخل، بعد أن كانت العاصمة السابقة هي مدينة ريو دي جانيرو البحرية المطلة على الساحل والتي تخدم مصالح الدول الاستعمارية. ونجد ذات الصورة في العواصم الأفريقية في الدول المطلة على بحر، حيث تقع أغلبية عواصمها في مدن ساحلية، لتجسد توجه الدولة الاقتصادي والسياسي ناحية البحر لتعلن أنها موجهة إلى أوروبا. ولكن إذا تغيَّر توجه الدولة، فإن ذلك قد يستتبع تغيُّر مكان العاصة، كمثل تغيير نيجيريا لعاصمتها واختيار مدينة أبوجا في الوسط لتحل محل لاجوس البحرية[١] (رقم ٤٧: خارطة استبدال عاصمة نيجيريا).

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٥٥.

وكذلك فإن اختيار آستانا لتكون عاصمةً لدولة كازاخستان في العام ١٩٩٧، بعد أن كانت ألماتي هي عاصمة هذه الدولة، إنما كان بهدف مواجهة خطر القوميين الروس الذين يقطنون شمال البلاد على الحدود الروسية، من أن يطالبوا يوماً بالانفصال والالتحاق بالفدرالية الروسية[1] (رقم ٤٨: خارطة استبدال عاصمة كازاخستان).

د- عامل القومية السائدة

عندما تضمُّ الدولة عدة قوميات، في هذه الحالة، توجد العاصمة في قلب منطقة القومية الأكثر عدداً أو المهيمنة، ومن أمثلتها: عاصمة روسيا (موسكو)، وعاصمة يوغسلافيا السابقة (بلغراد)، وعاصمة تركيا (أنقرة)، وهنا قد لا تشكل العاصمة قبلة لكل القوميات في الدولة، بخاصةٍ إذا كانت القوميات الأخرى كبيرة، ومن الأمثلة المعبرة نذكر لبنان، حيث جرى إرضاء الموارنة بأن يكون القصر الرئاسي في بعبدا خارج العاصمة بيروت التي تقطنها أغلبية مسلمة.

حيث توضح دراسات التاريخ، الشعور بالغيرة من قبل سكان الدولة تجاه هذه العاصمة، وهذا مع حدث في يوغسلافيا السابقة، حيث أدى تعصب الصرب الشديد لقوميتهم، إلى زرع بزور الكراهية تجاههم من قبل القوميات الأخرى في الدولة، هذا ما أدى في مرحلة لاحقة إلى تفكك الدولة، ولتصبح بلغراد عاصمة لصربيا والجبل الأسود.

وعندما حصل الانفصال السلمي في دولة تشيكوسلوفاكيا، لتصبح دولتين هم التشيك وسلوفاكيا، عمدت سلوفاكيا إلى اختيار عاصمتها على أسسٍ قومية، فاختارت مدينة براتسيلافا كعاصمةٍ لها لما تمثله من أهمية ثقافية وتاريخية لهذه القومية.

وتعدُّ موسكو عاصمة للقومية السلافية في روسيا، وهي القومية التي تمكنت من توحيد الاتحاد السوفياتي، وجعلت عاصمتها عاصمةً لهذا الاتحاد، مما دفع سكان الاتحاد من القوميات

---

(1) Mohammad-Reza Djalili & Thierry Keliner – Géopolitique de la nouvelle Asie centrale – Op. Cit. p 249.

الأخرى إلى التوجه نحو عواصم مناطقهم القومية، فاتجه الأكرانيون نحو كييف، وروسيا البيضاء إلى منسق، وقوميات آسيا الوسطى إلى مراكز قومياتهم كـ سمرقند وعشق آباد[١].

ولكن إذا كان اعتماد المدينة التي تضمُّ القومية الأكبر كعاصمة، سيؤدي إلى حدوث مشاكل أو نزعات انفصالية، فإن الدولة ولتجنب هذه النتيجة المأساوية، فإنها تعمد إلى نقل العاصمة إلى مكان تواجد القومية الأخرى، وهذه حالة دولة كازاخستان، حيث شعر الكازاك بخطر القوميين الروس الذين يتواجدون بكثافة في شمال البلاد، والذين قد يفكِّرون يوماً بالالتحاق بالفدرالية الروسية. ومن أجل أن تفادى هذا الخطر قرر الرئيس نازاربيف نقل العاصمة من ألماتي الواقعة جنوب شرق البلد إلى آستانا في الشمال في كانون أول ١٩٩٧[٢].

هـ- عواصم التسويات السياسية:

مثالها عواصم الدول الفيدرالية، ويتمُّ اختيارها بموجب اتفاق بين الولايات والأقاليم التي تكوِّن الدولة الفدرالية، وهي كما ذكرنا سابقاً عواصم صناعية وليست طبيعية لأنها بمعظمها عواصم حديثة النشأة. ويلعب هذا النوع من العواصم دوراً هاماً في نجاح النظام الفدرالي أو فشله. فمثلاً تقع واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأميركية تقريباً بين الحدود الشمالية والجنوبية للولايات الشرقية، وتبعد حوالي ٥٠ ميلاً عن خط ماسون وديكسون وهو الحد الفاصل بين الأراضي الحرة والأراضي التي كانت تبنى نظام العبودية، فيظهر أن واشنطن تقع بكل المقاييس في موقعٍ متوسطٍ ومحايد، وتعدُّ أفضل موقعٍ في الولايات المتحدة الأميركية ليكون مقراً للحكومة الفدرالية (رقم ٤٨: خارطة موقع العاصمة واشنطن) [٣].

وفي أستراليا كان اختيار كانبرا عاصمةً على أرضٍ محايدة بين سيدني وميلبورن الشريكين الرئيسيين في الاتفاقية الفيدرالية لعام ١٩٠٠. كما اختيرت برن كعاصمة للفدرالية السويسرية

---

(١) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٥٦.

(2) Mohammad-Reza Djalili & Thierry Keliner – Géopolitique de la nouvelle Asie centrale – Op. Cit. p 249.

(٣) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٥٨.

في العام ١٨٤٨، لتقع في مكانٍ متوسطٍ بين التكتلات الكاثوليكية والبروتستانتية، وبين المجموعات المتحدثة بالفرنسية والمتحدثة بالألمانية[١].

خامساً: الحدود السياسية

تعود أهمية دراسة الحدود إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ الاهتمام بإيجاد الرابطة بين الحدود السياسية والمساحة التي تتكون وتحيا ضمنها الهوية الثقافية للمجتمع. وكان طبيعياً أن تتوطد علاقة الإنسان بالأرض وبحدود هذه الأرض مع انتشار مبادئ الحرية وحقوق الإنسان والمواطنية.. هذا بالإضافة إلى الدور الهام للحدود في تأمين متطلبات الدفاع الخارجي لصد أي عدوان. وكذلك تعتبر مناطق الحدود الآمنة من أهم المناطق الاقتصادية لدورها الحيوي في نقل الأشخاص والبضائع بين جانبي الحدود[٢]، لكن تحقق هذا الدور، يبقى مرتبطاً بعوامل أخرى، أبرزها الأمن والاستقرار على الحدود، لأن مناطق النزاع الحدودي تكون مناطق عسكرية شبه خالية من السكان وتنعدم فيها مقومات الحياة الاقتصادية، ويزداد الأمر تعقيداً عندما يكون طرفي الحدود في حالة عداء كحالة الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، ففي هذه المنطقة يستحيل في ظل الكيان الإسرائيلي المحتل إيجاد أي فرص للتبادل الاقتصادي على الحدود، وهذا بخلاف حالة الحدود اللبنانية السورية، فهي منطقة اقتصادية بامتياز نظراً لحركة نقل البضائع والأشخاص النشطة بين الدولتين، أو عبور الترانزيت، ولقد تأثرت المنطقة الحدودية بين لبنان وسوريا بخلال الأزمة السياسية بعد العام ٢٠٠٥، بحيث انعكس الخطاب السياسي الحاد بين الطرفين على المنطقة الحدودية، التي أصيبت بشبه شللٍ بعد إقفال المعابر أو تشديد إجراءات الرقابة

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٦٤.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٩٢.

والتفتيش والتدقيق على نقاط العبور. وطاول هذا الشلل كافة المرافق الموجودة في المنطقة الحدودية من مطاعم ومحلات وفنادق وأسواق وشركات النقل السياحي...

ومن المؤثرات على المنطقة الحدودية هو الموارد الموجودة في تلك المنطقة، فإذا كانت المنطقة غنية بالمواد الأولية او صالحة لأنشطة صناعية أو سياحية أو زراعية، فإن النشاط الاقتصادي في هذه المنطقة يكون أفضل من حالة منطقة خالية من هذه المقومات، ونذكر كمثال: التجمعات الصناعية على الحدود الأميركية الكندية عند البحيرات الكبرى، فهي تتمتع بفرصة تبادل الخبرات واليد العاملة وتستفيد من تخفيضات جمركية، وتسهل عملية ترويج البضائع بين الدولتين.

يعود تطور شكل الحدود من مساحة إلى خط يعود إلى عدة عوامل، منها التكاثر السكاني وعدم جواز ترك أرض دون سيادة وعدم قبول الدول بوجود أقاليم غير معروفة السيادة لما يستتبع ذلك من تهديد لأمنها دون أن تتمكن من تحديد المسؤول بالإضافة إلى أهمية مراقبة الحدود وتنظيم الدفاع عنها وعن البلاد بأكملها[1]. وينعكس الاهتمام الذي توليه الدول لمسألة احترام حدودها، بوضوح في القانون الدولي الذي يكرّس مبدأ سلامة أراضي الدول وعدم جواز انتهاك الحدود وعدم جواز المس بها.

إلا أن هذه الأهمية الإستراتيجية للحدود تظهر اليوم رمزية أكثر منها واقعية بوجود الأسلحة بعيدة المدى وإمكانية عبور الحدود الطبيعية الصعبة ووسائل النقل المتطورة وسرعة الحركة. هذا التطور جعل من الضروري مواجهة التهديد ببناء قواعد عسكرية تكون حاضرة للدفاع بنفس القوة والمدى. لذلك شهدنا عودة المناطق العسكرية أو "الحدود–المناطق"، للدفاع أو الهجوم. ونشهد اليوم الحروب التي تشنها الولايات المتحدة تحت شعارات مختلفة لا يمكن تبريرها قانونا وهي تهدف إلى التوسع وإنشاء قواعد عسكرية لها في أماكن تبعد كثيراً عن

---

(1) أحلام بيضون - ترسيم الحدود ومزارع شبعا الأبعاد القانونية والسياسية للمسألة – بحث منشور ضمن موقع: www.legallaw.ul.edu.lb

حدودها الجغرافية وكأنها بذلك تنقل حدودها إلى ما وراء حدود الدول هناك حيث تشاء. في المقابل هناك دول تنازع للدفاع عن خطوط هي أصلا حدود سيادتها.. [١].

١- تعريف الحدود والتخوم

الحدود الدولية هي خطوط تفصل بين أراضي دولتين متجاورتين ومعترف بها دولياً. ترتدي هذه الحدود أهمية خاصة في القانون وفي الممارسة لأنها أولاً تحدد لمن تعود الأرض وهذا من الأهمية بمكان كون ذلك يحدد لمن تعود الثروات الطبيعية ومساحة الملكية ومجال سيادة الدولة حيث تمارس صلاحياتها وسلطاتها بصورة مستقلة مبدئيا وتطبق قوانينها ولا ينافسها في سيادتها أحد فهي السلطة العليا التي تضع النظم والقوانين لتسيير شؤون الرعايا الذين يعيشون داخل حدودها بالدرجة الأولى.

والحدود هي خطوط مرسومة على خرائط يقابلها خطوط على الأرض، يجب احترامها بدقة من قبل الدول المعنية ولا يجوز اختراقها من قبل قوة خارجية دون علم الدولة وإلا أعتبر ذلك عدواناً يبرر للآخر ممارسة حقه المشروع بالدفاع عن النفس لرد الاعتداء[٢].

رغم هذه الوضعية فإن المناطق الحدودية أي تلك التي تقع على جانبي الحدود تحكمها أنظمة خاصة تخضع لقواعد حسن الجوار أو ما جرت عليه العادة والاتفاقيات الخاصة، وتتمتع هذه المناطق بسهولة الانتقال عبر الحدود بقدر ما تكون العلاقات جيدة بين الدولتين المتجاورتين. كما أن الدولتين أو الدول المتجاورة يمكن أن تتعاونا في أمور كثيرة تخدم مصالح مواطنيها كتقاسم المياه أو معالجة شؤون البيئة أو تسهيل أمور المواطنين .. [٣].

---

[١] أحلام بيضون - ترسيم الحدود ومزارع شبعا الأبعاد القانونية والسياسية للمسألة – بحث منشور ضمن موقع: www.legallaw.ul.edu.lb

[٢] أمين حطيط – صراع على أرض لبنان بين الحدود الدولية والخط الأزرق- دار الأمير- الطبعة الأولى ٢٠٠٤ ص ١٢١.

[٣] أحلام بيضون - ترسيم الحدود ومزارع شبعا الأبعاد القانونية والسياسية للمسألة – بحث منشور ضمن موقع: www.legallaw.ul.edu.lb

أما التخوم فتدلُّ على منطقة أو مساحة واسعة من الأرض متروكة في كثيرٍ من الأحيان بسبب عدم صلاحيتها لسكن الإنسان، يختلف اتساعها باختلاف الظروف، وتفصل هذه المنطقة أو المساحة بين مناطق مأهولة بالسكان، وقد تكون على شكل أحزمة أو مساحات واسعة من الظواهر الطبيعية كالجبال أو السهول أو الغابات. وتعد هذه المناطق من وجهة نظر لجغرافيا السياسية غير مملوكة لأحد وتستطيع الجماعات المجاورة لتلك المناطق أن تحتلها أو تضمها إلى اقليمها[١]. وعادةً فإن الدول التي لها تخومٍ مشتركة لا تحبّذ اتخاذ إجراءات ترسيم الحدود فيما بينها. وتعود مسألة التخوم إلى المرحلة السابقة على تقسيم سطح الأرضِ إلى دولٍ مستقلة، كانت هناك مناطق غير آهلة بالسكان (تسمى بالتخوم)، تستخدم كحواجز تمَّ استيطانها لاحقاً نظراً لأن التخوم تمَّ دمجها مع أرض الدول، وبهذا بدأ استبدال مناطق التخوم بخطوط الحدود[٢].

ويتضح الفرق بين الحدود التخوم كالآتي:

١. التخوم ذات دلالة خارجية لأن اهتمام الدولة يكون منصباً على المناطق الخارجية التي تشكل مصدر خطر أو مناطق ترغب بالاستيلاء عليها، في حين أن الحدود ذات داخلية، إذ تسعى الدولة إلى تثبيت حدودها وضمن سلطتها على الرقعة الجغرافية التي تقع داخل هذه الحدود.
٢. التخوم عامل تكامل بين الدول الواقعة على جانبيها، في حين أن الحدود هي عامل فصل.
٣. التخوم مناطق واقعة بين أقاليم جغرافية وليس بين الدول، لذا فهي جغرافية بطبيعتها، بينما الحدود هي سياسية في أصلها ووظيفتها.

---

[١] صالح بدر الدين – التحكيم في المنازعات الدولية – دار الفكر العربي – القاهرة- ١٩٩١ ص ٤١.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٦٩.

٤. تشكل التخوم طبيعة مساحية أي انها جزء من سطح الأرض، في حين أن الحدود هي على شكل خط، وظاهرة صناعية اختارها وحددها ورسمها الانسان.
٥. تتميز التخوم بالثبات، في حين أن الحدود تتغيَّر باستمرار، إذ أن أي نزاعٍ حدودي قد ينجم عنه تغيير في مواقع الحدود، وكذلك فإن أي تقسيم لدولة إلى عدة دولة سيؤدي إلى تكوُّن حدود جديدة[١].

٢- تصنيف الحدود الدولية

يُعتمد في مسألة تصنيف الحدود الدولية على التفرقة بين الحدود الاصطناعية والحدود الطبيعية. ويقصد بالحدود الاصطناعية بأنها تلك الحدود التي عمدت يد الإنسان على رسمها وتحديدها، أما الحدود الطبيعية فهي التي يجري تعيينها وفقاً للملامح الطبيعية الواضحة مثل الجبال أو الأنهار أو البحيرات أو أطراف الغابات[٢].

أ- الحدود الاصطناعية

وهي الحدود التي لا ترجع إلى الطبيعة، بل إن تعيينها يجري من قبل الإنسان، باستخدام علامات لتعييم الحدود، كالأعمدة والأبنية والأحجار وغيرها من الأدوات التي يقوم الإنسان بصنعها.

وتكون الحدود الإصطناعية إما مرتبطة بظواهر تاريخية وعرقية أو دينية، او تكون ذات منشأ اتفاقي أو معينة من قبل الهيئة دولية أو الدول الاستعمارية.

أ-١: الحدود المتصلة بأحداث تاريخية

---

(١) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٧١.
(٢) صالح بدر الدين – التحكيم في المنازعات الدولية – مرجع سابق ص ٥٠.

يهدف هذا التصنيف إلى ربط الحدود بالمظاهر الحضارية واختلافاتها في المنطقة وبخاصة تقسيمات الأديان والأعراق واللغات، مثل الحدود التي توجد في شرق أوروبا أو ما بين الهند وباكستان، أو الحدود بين الهند وبنجلادش للفصل بين المسلمين والهندوس، وكذلك من أمثلتها الحدود بين الولايات المتحدة الأميركية والمكسيك.

وهذه الحدود هي إما حدود محددة قبل نشأة الدول، بحيث أن الفصل الثقافي أو اللغوي أو الحضاري هو سابق على نشأة الدولة، التي اكتفت بعد وجودها بالعمل ضمن الحدود المرسومة مسبقاً. أو تكون هذه الحدود لاحقة على نشأة الدولة، حيث يجري تعيين هذه الحدود استجابةً لتطور المعالم الثقافية للدولة. ويجري رسم التقسيمات الثقافية بين الدول بعد مفاوضات ومباحثات دولية[١]. ومن الأمثلة على الحدود التاريخية ذكر ترسيم الحدود ما بين فرنسا وألمانيا التي جاءت مطابقة لحدود دوقية الإلزاس التاريخية[٢].

وفي العصر الحديث، عمدت الدول الاستعمارية إلى رسم حدود المناطق الإفريقية بصورة منافية لثقافة وعادات سكان هذه البلاد، ونجم عن هذا التقسيم الاستعماري المفروض أن أصبحت قبيلة واحدة منقسمة ضمن حدود أكثر من دولة. وهذا ما ولَّد نزاعات حدودية قد تصل في نهايتها إلى حلولٍ دبلوماسية بحيث يعود تجميع القبائل ضمن بيئة سياسية واحدة، أو تسيطر الدولة الأقوى على المناطق الحدودية التي تعتقد أنها تنتمي إليها ثقافياً أو حضارياً أو قبلياً.

أ-٢: الحدود الاتفاقية:

هي الحدود التي تتمُّ بموافقة الدولتين المتجاورتين، ويجري تعيين هذه الحدود بموجب اتفاقية دولية بين الدول المعنية، وتعتبر الطريقة الاتفاقية هي الطريقة الاعتيادية لتحديد الحدود بين

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٧٣.

[٢] صالح بدر الدين – التحكيم في المنازعات الدولية – مرجع سابق ص ٥١.

الدول، حيث جرى تحديد معظم الحدود في القارة الأميركية عن طريق اتفاقات ثنائية[١]. ونظراً لأهمية الحدود السياسية والإستراتيجية فإن ترسيمها تشترك فيه أحياناً أو يتم مباشرة من قبل أطراف ثالثة أو من قبل منظمات إقليمية أو دولية كما يحدث في اتفاقيات السلام (بعد الحرب العالمية الأولى والثانية) أو من قبل منظمات إقليمية أو دولية كما في حالة تقسيم فلسطين (رقم ٤٩: خارطة تقسيم فلسطين). أخيراً يمكن أن تأتي الاتفاقية لوضع حدود أو إدخال إقليم جغرافي ما ضمن نطاق دولة معينة أو تأتي الاتفاقية لوضع حد لنزاع على حدود بين دولتين أو لتحديد وضع أراضي يشوب السيادة عليها عدم اليقين. في مطلق الأحوال سواء كانت الاتفاقية التي ترسم الحدود عامة أو خاصة، ثنائية أم متعددة الأطراف، وسواء تمت صياغتها من قبل دول أو منظمات فإن اتفاقيات الحدود تحتل موقعاً خاصاً في القانون الدولي لما تحتاجه من استمرارية تؤثر في استقرار أوضاع الدول وتسهم في تثبيت الأمن والسلم الدوليين. لذلك فقد كرّست اتفاقية فيينا لعام ١٩٦٩ في مادتها ٦٢ حول قانون الإتفاقيات مبدأ استمرارية اتفاقيات الحدود وعدم تأثرها بتغير الظروف. وأحياناً يتم ترسيم الحدود بين الدول بشكل استثنائي عن طريق المحاكم أو التحكيم إذا لم تستطع الدول المعنية أن تتوصل إلى اتفاق حبي أو أن الاتفاقية التي ترعى هذه المسألة يشوبها الغموض أو النقصان، كأزمة الحدود بين الشارقة ورأس الخيمة ... أو بين الولايات المتحدة وكندا[٢].

تتم عملية **تثبيت الحدود** على مرحلتين:

المرحلة الأولى: ويتم فيها تعيين وتحديد الحدود بالعودة بشكل عام إلى مرتكزات جغرافية كمجاري الأنهر أو قمم الجبال أو مرتكزات فلكية كخطوط العرض والطول أو بخطوط

---

[١] صالح بدر الدين – التحكيم في المنازعات الدولية – مرجع سابق ص ٥١.

[٢] أحلام بيضون - ترسيم الحدود ومزارع شبعا الأبعاد القانونية والسياسية للمسألة – مقالة سابق ذكرها.

مستقيمة تصل بين نقاط معينة. يقوم بذلك فريق يعين من قبل الأطراف أو من قبل المحاكم في حال النزاع

المرحلة الثانية: هي الترسيم وفي هذه المرحلة يجري تطبيق ما تمّ الاتفاق عليه في اتفاقية ما أو ما صدر في حكم قضائي أو تحكيمي على الخرائط وعلى الأرض يترافق ذلك عادةً بإقامة فاصل. هذه المرحلة هي مرحلة تقنية يكلف بها عادةً لجنة متخصصة مختلطة ترفع تقريرها المستند إلى وثائق أو خرائط أو شهادات ... إلى الحكومات المعنية التي يجب أن تقره أو توافق عليه أحياناً من خلال اتفاقية. إن التقارير والخرائط والمستندات التي تصدر عن اللجنة تعتبر **وسائل إثبات** يمكن العودة إليها في حال الخلاف أو التشكيك. إن **إثبات** الحدود هو عملية ذات طابع خاص تخضع للعلاقة بين الدول المعنية وللظروف وللموقع الجغرافي وللتاريخ وللثروات التي تحتويها الأرض. وبالتالي يتم الاتفاق عليها في اتفاقيات بين الأطراف المعنية ولا تخضع للقواعد العامة للقانون الدولي إلا فيما يتعلق بقواعد الإثبات أو ما يتعلق بتعيين الحدود على الأنهار أو البحيرات أو إذا كان الأمر يتعلق باكتساب صفة قانونية وتعتبر ممارسة الأعمال الإدارية من قبل سلطات الدولة دليل إثبات على سيادتها على الأرض[١].

أ-٣: الحدود المتوافقة مع خطوط الطول والعرض:

هي خطوط مستقيمة تتبع خطوط الطول والعرض، وتستخدم لترسيم الحدود بين الدول، وقد تأخذ شكل رسم أقواس مركزها نقطة ثابتة. واتخاذ خطوط الطول والعرض أساساً لتعيين الحدود هو أمر شائع الاستعمال، بخاصة في القارات الأميركية والأفريقية والأسيوية، إذ كان الدول المستعمِرة تلجأ إلى استخدام هذا الأسلوب في ترسيم الحدود في مستعمراتها. فتمَّت عملية ترسيم الحدود قبل الاستكشاف الكامل لهذه المناطق ولا المعرفة الحقيقية بطبيعة

[١] أحلام بيضون - ترسيم الحدود ومزارع شبعا الأبعاد القانونية والسياسية للمسألة- مقالة سابق ذكرها.

الأرض. فكانت الخطوط المستقيمة بمثابة فواصل سهلة ومناسبة لتقسيم المستعمرات بين القوى المستعمِرة، بخاصة في الأماكن الخالية من السكان. ويلاحظ أن العديد من الحدود الأفريقية المستقيمة الشكل تمَّ تحديدها بين عامي ١٨٨٤–١٨٨٥ بناءً على توصية مؤتمر برلين لتحديد مناطق نفوذ القوى الأوروبية الاستعمارية. أما في دول العالم الجديد (الأميركيتين واستراليا)، فكان للفراغ النسبي من البشر، وعدم دراية المستعمر بطبيعة الأرض دور مؤثر في إقامة الحدود الهندسية. وكانت تلك الحدود حينئذٍ لا تثير المشكلات نظراً لترسيمها في المناطق الخالية من السكان.

ويوجد نوعين من الحدود الهندسية، حدود تسير فعلياً مع خطوط الطول ودوائر العرض، وخطوط هندسية بين نقط معلومة في الطبيعة.

ومن الأمثلة عن النوع الأول نذكر الحدود المصرية السودانية التي تسير مع دائرة العرض ٢٢ ° شمالاً، والخط الذي يفصل بين كندا والولايات المتحدة الأميركية يسير مع دائرة العرض ٤٩ ° شمالاً لمسافة ٢٤٠٠ كم (رقم ٥٠: خارطة الحدود بين مصر والسودان).

وكما دوائر العرض، فإن خطوط الطول تستخدم لترسيم الحدود بين الدول، كمثل الحدود بين مصر وليبيا التي تسير مع خط الطول ٢٦ ° شرقاً، والخط الفاصل بين الألسكا وكندا تسير مع خط الطول ١٤٠ ° غرباً (رقم ٥١: خارطة حدود السكا– كندا).

أما النوع الثاني، أي الحدود التي تأخذ شكل خطوط هندسية بين نقط معلومة في الطبيعة، فإنه من أكثر الأنواع انتشاراً في ترسيم الحدود بين الدول، مثل الحدود بين اليمن وسلطنة عمان، والحدود الأردنية السعودية[١].

ب– الحدود الطبيعية:

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٨٦.

يربط هذا التصنيف بين الحدود السياسية والمعالم الطبيعية الواقعة على الحدود، مثل الجبال والهضاب والمسطحات المائية، والبحيرات، والمستنقعات والصحاري.. لذا تسمى الحدود التي ترتسم بالاستناد إلى المواقع الطبيعية، بالحدود الطبيعية. وتعرَّف بأنها الحدود التي يتمُّ رسمها على أساس المواقع الطبيعية، ورغم تسميتها بالحدود الطبيعية، لكن فعلياً هي حدود اصطناعية لأنها من صنع الإنسان، وتتميز عن الحدود القائمة على أساس الفصل الثقافي أو اللغوي أو الديني، بأنها حدود تسير مع الظواهر الطبيعية[١]. اعتمدت المظاهر الطبيعية في ترسيم الحدود بين دول القارة الأوروبية، فحينما بدأت مرحلة ترسيم الحدود بين دول القارة، فإن سلاسل الجبال ومجاري الأنهر، وغيرها من الظواهر الطبيعية التي لها مظهر حدودي، تمَّ اختيارها لتكون بمثابة حدود بين الدول.

ب-١: الحدود الجبلية:

لعبت الجبال دوراً مؤثراً في العلاقات الدولية، ذلك أن السلاسل الجبلية تشكِّل مواقع حدود مميزة بين الدول، وهي النوع المفضَّل لترسيم الحدود، لأن ثباتها على الأرض يعطيها صفة الديمومة. كما تشكل خطوط حماية طبيعية وإن كانت لم تنجح في ضمان عدم عبور الحدود بين الدول، إذ أن وعورة الجبال لم تعد تشكل عوائق أمام البشر، وفي الغالب تتميز الجبال الحدودية بندرة الوجود السكاني. أما عن آلية تعيين الحدود بوسطة الجبال، فهي إما عبر قمم الجبال أو عبر خط تقسيم المياه[٢].

تنتشر الحدود الجبيلية في كثيرٍ من المناطق، مثل: الحدود بين الصين والنيبال التي تفصل بنيها جبال الهملايا، وكذلك بين الصين والهند التي تفصل بينها جبال الهملايا وجبال وصحراء تلاماكان، والحدود بين تشيلي والأرجنيتن التي تفصل بينهما جبال الأنديز، وبين

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٧٤.

[٢] صالح بدر الدين – التحكيم في المنازعات الدولية – مرجع سابق ص ٥٣.

فرنسا وإيطاليا التي تفصل بينهما جبال الألب، وبين فرنسا وأسبانيا التي تفصل بينها جبال البيرينه، وبين بولندا والتشيك التي تفصل بينهما جبال السوديت، وبين السويد والنروج حيث تفصل بينهما المرتفعات الاسكندنافية (رقم ٥٢: خارطة الحدود الجبلية بين الأرجنتين والتشيلي) (رقم ٥٣: خارطة الحدود الجبلية بين السويد والنروج).

ب-٢: الحدود المائية

رسمت كثير من الحدود الدولية على أساس مجاري الأنهار والبحيرات، إلا أن هذه الحدود أثبتت عدم صلاحيتها، ذلك أن قنوات الأنهار تمثِّل قنواتٍ للنقل والتحرك مما يشجع التبادل التجاري والاجتماعي، كما أن أحواض الأنهار تضمُّ بين جنباتها سهولاً فيضية خصبة تجلب أعداداً سكانية مرتفعة الكثافة. لذا فإن استخدام الأنهار لتشكِّل حدوداً دولية يعني تفرُّق المجتمعات الزراعية المتماسكة اجتماعياً التي تعيش في أمانٍ على ضفاف الأنهار وتخلق صعوبات في استخدام مياه النهر وإدارتها. لذا غالباً ما تستخدم الأنهار كحدود فصل بين الوحدات الإدارية في الدولة.

ورغم هذه السلبيات، فإن الانهار كحدودٍ سياسية فيما بين الدول، من أكثر الأساليب المتبعة في ترسيم الحدود بين الدول في كافة القارات، كمثل النهر الكبير الذي يشكِّل الحدود الشمالية للبنان مع سوريا (رقم ٥٤: خارطة حدود لبنان الشمالية مع سوريا)، ونهر الميكونج بين تايلاند ولاوس، ونهر الآمور بين الصين وروسيا، ونهر بياندج الذي يفصل بين أفغانستان وطاجيكستان، ونهر الراين بين أجزاء من ألمانيا وسويسرا، ونهر الدانوب ما بين رومانيا وبلغاريا، ونهر الأودير ما بين بولندا وألمانيا. وفي القارة الأفريقية، يفصل نهر الكونغو ما بين زائير والكونغو (رقم ٥٥: خارطة حدود الكونغو زائير)، ويفصل نهر ليمبوبو ما بين جمهوريتي جنوب أفريقيا وزيمبابوي، كما يفصل نهر أورانج ما بين جمهورية جنوب أفريقيا وناميبيا خارطة الحدود النهرية (مثال من كل قارة).

وفي القارة الأميركية، يفصل مجرى نهر اليوتومايو ما بين كولومبيا والبيرو، ونهر بيلكو مايو ما بين غرب الباراغوي والأرجنتين، ونهر ريوبارانا ما بين جنوب الباراغوي والأرجنتين، ونهر ريوبافاري ما بين غربي البرازيل والبيرو، ونهر ريو جراند ونهر كولورادو ما بين المكسيك والولايات المتحدة الأميركية، أما الحدود ما بين الولايات المتحدة الأميركية وكندا، فتفصل بينها عدة مسطحات مائية من أنهر وبحيرات تبلغ حوالي ٢١٩٨ ميلاً أي يوازي ٥٥% من طول الحدود بين الدولتين، ومن هذه الحدود المائية نذكر: نهر السان لوران، وبحريات أونتاريو وسابيريو وهورون وإيري.

ولما كانت علامات الحدود النهرية هي من العلامات التي يصعب وضعها في الياه، بخاصةٍ إذا كان النهر يجري بسرعة أو يستخدم في الملاحة وصيد الأسماك، لذا فإن العلامات النهرية تظهر على الخرائط فقط، بحيث يتمُّ اعتماد أحد الطرق الآتية في ترسيم الحدود النهرية.

- ترسيم الحدود عند إحدى شواطئ النهر.
- اعتبار الحدود هي الخط المتوسط في مجرى النهر.
- اعتماد النقطة الأكثر عمقاً في قعر النهر كمرتكز لترسيم الحدود.
- اعتماد الخط الذي يُحدد بواسطة المحكمين أو بالاستناد إلى القوانين الدولية.

إن الآلية الأخيرة هي المعتمدة في ترسيم الحدود التي تقع على مجرى الأنهر، أما الآلية الأولى فهي نادرة الاستعمال ومثالها الأبرز الحد الشمالي الشرقي للعراق مع إيران في منطقة شط العرب. إذ جى في العام ١٩١٤ ترسيم الحدود لتسير بماحزاة خط المياه في الضفة الإيرانية، ومن ثمَّ فهو يحرم إيران من استعمال النهر للملاحة. فنشأت عدة

منازعات بين البلدين على شط العرب قبل توقيع اتفاقية صداقة بين البلدين، وقضت هذه الاتفاقية بان يكون لإيران منافذ على شط العرب في منطقتي عبادان وخورمشهر[1].
ويسعى الكيان الغاصب الإسرائيلي إلى تطبيق ذات الآلية في ترسيم الحدود بين فلسطين المحتلة وسوريا في منطقة الجولان، بحيث كانت تتوقف المفاوضات بسبب إصرار الكيان الغاصب على اعتبار أن حدود سوريا تقف عند شط بحيرة طبريه دون أن يكون للسوريين أي حق بالاستفادة من هذه البحيرة (رقم ٥٦: خارطة حدود سوريا –فلسطين – أطلس الطالب ص ١٣٨).

والمشكلة الحدودية في مناطق البحيرات، هي أقل حدة من المشاكل التي تنشأ عن الحدود النهرية، وذلك بسبب اتساع المسطح المائي واستقرار حركة المياه، فأصبح من السهل تحديد خط الحدود الدولية في المناطق الوسطى إذا كانت البحيرة تقع بين الدولتين مثل البحيرات الواقعة بين الولايات المتحدة الميركية وكندا. وفي أفريقيا تسير الحدود داخل بحيرة تنجانيقا بين تنزانيا والكونغو، وبحيرتي البرت وإدوارو بين الكونغو وأوغنده، وبحيرة كيفو بين الكونغو ورواندا، وبحيرة فيكتوريا التي تقع بين عدة دول (أوغندا وكينيا وتنزانيا) فهي تقسم بالتساوي بين هذه الدول الثلاث (رقم ٥٧: خارطة الحدود عند البحيرات– أطلس العالم الكبير ص ٤٠٠).

ب–٣: الحدود السياسية في أقاليم الغابات والمستنقعات والصحاري

تعد هذه المناطق من مناطق الانقطاع البشري وتمثِّل فواصل طبيعية بين الأقاليم الحضارية، فلقد فصلت الصحراء الكبرى بين الحضارة الإسلامية والحضارة الإفريقية، وبين الشام وساحل الجزيرة العربية الجنوبي (رقم ٥٨: خارطة الصحاري العربية– أطلس أبعاد

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٨٠.

ص ٩٧). أما المستنقعات فتمثل حواجز حضارية أقل فعالية، لذا فهي نادراً ما تستخدم كحدودٍ دولية، ومع ذلك نجد بعض الحالات التطبيقية مثل مستنقعات تشاد غرب بحيرة تشاد التي تفصل دولة تشاد عن كل من النيجر ونيجيريا والكاميرون[١].

٣- الخطوط الدولية الناشئة عن حالة الحرب

لا تعد هذه الأنواع من الخطوط الدولية، حدوداً بالمعنى القانوني، ولكنها مجرد خط يفصل بين قوات متحاربة، وذكر من نماذجها:

أ- خط وقف إطلاق النار:

ينشأ خط وقف إطلاق النار نتيجةً للضرورات الحربية كالسماح لنقل الجرحى ودفن الموتى وذلك عن طريق اتفاق وقف القتال. ولهذا الاتفاق طبيعة عسكرية بحتة وليس له أي صفة سياسية وهو مغاير لاتفاق إنهاء حالة الحرب الذي له صفة سساسية.

وإلى الطابع العسكري، فإن فإن لخط وقف إطلاق النار الطابع المؤقت، إذ يكتفي بالاتفاق على خط معين يفصل بين المواقع التي تحتلها قوات الفريقين أو جزء منها قبل الاتفاق على وقف اطلاق النار، ولا يحق لأي من الفريقين أن يتعدى هذا الخط خلال فترة وقف القتال.

وبهذا التوصيف لا يعتبر خط وقف إطلاق النار خط حدود من ناحية القانون الدولي، لأن الطرف المنتصر يقف دائماً خارج حدوده. ولا يمك فرض تغيير للحدود بالقوة العسكرية، لأنه من ناحية القانون الدولي لم يعد مشروعاً للاحتلال العسكري أن يغيّر من حدود الدولة عبر فرض سيطرته على بعض أقاليم الدولة المنهزمة[٢].

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٨٤.

[٢] صالح بدر الدين – التحكيم في المنازعات الدولية – دار الفكر العربي – القاهرة- ١٩٩١ ص٦١.

وخط وقف اطلاق النار وإن لم يدخل في مجال التنظيم الدولي، لكنه من التدابير المؤقتة التي يتخذها مجلس الأمن الدولي وفقاً للمادة ٤٠ من ميثاق الأمم المتحدة[١]. كاتخاذه القرار ٢٠٠٦/١٧٠١ الذي بموجب المادة الأولى منه إلى:" يدعو إلى وقف تام للأعمال القتالية، يستند بصورة خاصة إلى وقف حزب الله الفوري لجميع الهجمات، ووقف إسرائيل الفوري لجميع العمليات العسكرية الهجومية.

ب- خط الهدنة:

هو خط اتفاقي يوضع اثر نزاع مسلح للفصل بين مناطق عمل القوى المتنازعة من شأنه أن يحفظ حالة الحرب ويوقف النزاع المسلح مؤقتاً بوقف النار دون ان ينهي الصراع ... ويكون خطاً مؤقتاً قد يتوافق مع الحدود الدولية ان كانت قائمة قبل النزاع أو لا يتوافق ويسقط هذا الخط اما بتطوير العلاقة بين المتنازعين ايجابياً ويحل السلام أو يسقط سلباً اذا عادت القوى الى الحرب من جديد وتنازل الفريقان عنه. والهدنة عمل عسكري وسياسي، وهذا ما يفرّق الهدنة عن وقف إطلاق النار. ولقد خصصت اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧ المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية، الفصل الخامس منها لوضع قواعد اتفاقيات الهدنة، وعرَّفتها في المادة ٣٦:" تعلق اتفاقيات الهدنة عمليات الحرب باتفاق متبادل بين الأطراف المتحاربة ويجوز لأطراف النزاع، في حالة عدم تحديد مدة الهدنة، استئناف العمليات في أي وقت، شريطة أن يتم إنذار العدو في الأجل المتفق عليه، وفقاً لشروط الهدنة".

واعتبر نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام ١٩٩٨ أن اساءة استعمال علم الهدنة هو من جرائم الحرب.

---

[١] المادة ٤٠: منعا لتفاقم الموقف، لمجلس الأمن، قبل أن يقدم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها في المادة ٣٩، أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضروريا أو مستحسنا من تدابير مؤقتة، ولا تخل هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه.

يمكن أن تكون الهدنة شاملة أو محلية. وبموجب الهدنة الشاملة تعلق عمليات الحرب في كل مكان بين الدول المتحاربة، بينما تقتصر الهدنة المحلية على بعض أجزاء الجيوش المتحاربة وضمن نطاق معين[1].

ج- الخط الأزرق:

هو خط مبتكر لا يوجد مثيل له سابقاً أو حاليًّا في القانون الدولي العام. أملت وجوده ضرورات عملية، نشأت بغرض التأكد من الانسحاب الاسرائيلي ... انه خط مفروض، وغير اتفاقي آخر وأهميته بأنه لا يلغي الحدود الدولية، أو خط الهدنة وأن لا يخل بالاتفاقات القائمة والمستقبلية بين الدول ولا يعطي أو ينقص أي حق مكتسب...

ولكن جاء منتقصاً حقوقاً لبنانية رفض لبنان الاقرار بحرمانه منها فتحفظ عليه ... ان قيمته القانونية مستمدة فقط من موافقة مجلس الأمن عليه لاقترانه بتقرير الأمين العام للأمم المتحدة. فهو ليس بحدود دائمة ... لأن تعيين الحدود من صلاحية الدول وارادتها. كما أنه ليس بخط هدنة مؤقت، لأن وضع خط الهدنة منوط باتفاق الفرقاء وبما أن هذا الانسحاب قد اتخذ وفقاً لرؤية واضعيه (الأمم المتحدة) فيكون هذا الخط قد استنفذ غرضه.

هدف مجلس الأمن من خلال ترسيم الخط الأزرق إلى مراقبة سلوك العدو الاسرائيلي في خروجه من الأرض اللبنانية... ولتتأكد الأمم المتحدة عمَّا إذا كان العدو قد انسحب إلى خلف الخط الأزرق. وبالتالي لا يعتبر الخط الأزرق هو الخط النهائي للحدود اللبنانية، ولذلك وضع لبنان جملة تحفظات عند رسم هذا الخط. لذا فإن قياس سلوك لبنان على الخط الأزرق الوهمي، هو أمر خارج الغرض الذي توخاه رسم هذا الخط ويخالف القانون الدولي العام ويعتبر مساواة غير محقة بين المعتدي والمعتدى عليه. وأن أي تبني لهذا الخط

---

[1] المادة ٣٧ من اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧ المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية.

يعتبر تنازلاً أو تجاهلاً ضمنيًّا للحدود الدولية اللبنانية[١]، إذ للبنان حدود دولية مع فلسطين المحتلة نشأت بموجب الترسيم الذي أجرته لجنة بولييه نيو كامب المعينة من قبل الانتداب الفرنسي – البريطاني على كلٍ من لبنان وفلسطين. حيث صادقت دولتا الانتداب على هذا الترسيم بتاريخ ١٧ آذار ١٩٢٣ ، كما صادقت عصبة الأمم عليه في العام ١٩٣٤[٢].

الفقرة الثالثة: الدولة كوحدة فاعلة

تدرس الجغرافيا السياسية الدولة على أنها الوحدة السياسية الفاعلة، وهي تصنِّف الدول بحسب فاعليتها، إلى أنظمة قوية أو انظمة أقل قوة أو أنظمة عرضة للانهيار.

نظرية الوحدة الفاعلة: وتعني بأن كل مجموعة بشرية تتميز بخاصية تتضمن عنصرين أساسيين، هما الثقافة والتنظيم. فالثقافة هي مفهوم متصل بعلم العادات، فهي اللحمة التي تربط بين الناس في مجتمعٍ واحد. وتجعلهم يتواصلوان فيما بينهم، فمثلاً لشعب الصين عادات خاصة تجعل الأجنبي تائهاً لأنه لا يستطيع فهم أو تفسير الكثير من تصرفاتهم[٣].

وفي الهند مثلاً، فإن استدارة الرأس من اليمين إلى الشمال فهذا يعني أنه يقول نعم.

فالثقافة هي مجموع التصرفات والمعارف التي تظهر الانتماء إلى مجموعة.

يمكن أن نجد ثقافة واحدة في كامل الإقليم، دون أن يتوفر التنظيم الذي يعالج مشاكل هذه المجموعة في نطاقها الجغرافي، وبالعكس يمكن أن نجد مجموعة ليس لها أي ثقافة

---

[١] أمين حطيط – صراع على أرض لبنان بين الحدود الدولية والخط الأزرق- مرجع سابق- ص ١٢٤.

[٢] أمين حطيط – صراع على أرض لبنان بين الحدود الدولية والخط الأزرق- دار الأمير- الطبعة الأولى ٢٠٠٤ ص ١٢١.

[3] Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p5.

ولكنها مجموعة منظمة جيداً. لهذا نعرّف الوحدة الفاعلة بأنها كل مجموعة إنسانية تتميز بالثقافة المشتركة والتنظيم[١]. فمثلاً في أميركا اللاتينية، وتحديداً في كولومبيا، هناك مناطق كاملة هي خارج السيطرة الحكومية إذ يسيطر عليها وحدات فاعلة تتعاطى تجارة المخدرات بطرقٍ غير مشروعة. وكذلك الأمر في القارة الأفريقية فالدولة المسماة زائير أو الكونغو أو كنشاسا أو جمهورية الكونغو الديمقراطية هي دولة مجاملة. ففي هذه شبه–الدول، هناك وحدات فاعلة تعمل إلى جانب الحكومة، ويمكنها أن تحدث نشاطات خارجية معتبرة. وهذه حالة طالبان في أفغانستان. فشبه الدولة لا تشكل حقيقةً وحدة فاعلة[٢].

وكذلك فالدولة التي لا يكون لشعبها ثقافة واحدة جامعة، فهذه الدولة يمكن أن توصف بانها دولة ذات وحدة فاعليتها غير مكتملة. وهذه حالة الأمبرطوريات والاتحاد السوفياتي قبل العام ١٩٩١. فلقد حاول السوفيات الظهور على أنهم أمة، وكتب غورباتشوف عن الأمة السوفياتية في العام ١٩٨٥، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، لأنه كان ينقص الاتحاد السوفياتي وجود الثقافة الواحدة. فالشيوعية سرعان ما تكسَّرت أمام النظريات الأخرى ولم تنجح في أن تكون الثقافة الموحدة للدول السوفياتية[٣].

وفي حالاتٍ قد تكون دولة ليست مؤلفة من أمة واحدة، إذ يوجد فيها منتمين إلى أمم وقوميات متعددة، بالمقابل قد نجد أن أمة واحدة منتشرة في عدة دولة. ومنذ بداية القرن العشرين تراود الشعوب العربية أحلام الوحدة، التي تحاول إظهارها بأشكالٍ مختلفة. ولكن بزوغ وحدة سياسية عربية هو أمر لم يتحقق حتى اليوم. فهناك أمة عربية ولكن لا يوجد وحدة سياسية عربية. أو لا يوجد دولة عربية.

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op.Cit p6.
(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Puf 2 éme éd. 2008 p8.
(3) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Puf 2 éme éd. 2008 p8.

وكمثالٍ آخر نذكر: لا يوجد أي تطابق بين الدولة الألمانية والأمة الألمانية، حيث نجد أقليات من القومية الألمانية في أماكن مختلفة من العالم.

فالأمثلة عن الدولة – الأمة هي قليلة، لذا فإن الحديث يجري عن مقومات أخرى في تكوين الدول، فمثلاً ابندأ اندريه ساغفرايد محاضراته عن بريطانيا العظمى بالقول، بريطانيا هي جزيرة وكل الباقي يلحق". وذات الأمر ينطبق على اليابان، أما كورسيكا فتتميَّز بأنها جبل يقبع على الماء[١].

هذا الأسلوب من التمييز الحازم تحكمه الجغرافيا السياسية.

الوحدات الفاعلة هي بشكلٍ عام الوحدات السياسية، وهي تكون أنظمة قوية أو أقل قوة أو عرضة للانهيار، كما في كل هيئة منظَّمة. وتستطيع كل دولة أن تعوَّض النقص في أحد خصائصها (الثقافة والتنظيم) عبر تقوية الخاصية الأخرى. فإذا كانت الثقافة ضعيفة يمكن أن تعوَّض بتنظيم قوي والعكس صحيح أيضاً.

وإذا كانت الثقافة ضعيفة، فهذا مؤشر على أن حياة الدولة سيكون قصيراً، وحتى ولو كان التنظيم قوياً واستُخدِم الإكراه في سبيل الحفاظ على وحدة دولة، يتسحيل طيعياً أن تشكِّل وحدة، فإنه سيأتي الوقت الذي تتقطع به هذه الدولة[٢].

ولهذا السبب رأينا بأن كل الأمبرطويات قد تفككت، بدءاً من الأمبرطورية البريطانية والهنغارية والعثمانية وامبرطورية الرايخ وأخيراً الأمبرطورية الروسية، حيث شهدت هذه الأخيرة سقوط أمبرطورية القياصرة فالنظام الشيوعي. ولقد ترك كل انحلال لأمبرطورية وحدات سياسية غير مكتملة، وأطلق العنان لمشاكل لم يوضع لها قواعد لمعالجتها.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك عدد كبير من الوحدات الفاعلة على الصعيد الدولي ومع ذلك فهي ليست بوحدات سياسية.

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 8.

(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p ٩.

كمثال: المؤسسات الدينية كالكنيسة، وبخاصةٍ الكنيسة البابوية فهي تشكل وحدة فاعلة ذات أهمية لأنها عابرة للأوطان ولها انتشار في كافة أرجاء المعمورة. وتملك الكنيسة الكاثوليكية كلاً من عاملي الثقافة والتنظيم الذين يجعلان منها وحدة فاعلة، وبخاصة وأن لها دولة هي حاضرة الفاتيكان.

والبوذية كديانة لم تنتظم كالكاثوليكية في تنظيم رسمي فاعل، ولكن ثقافتها مهيمنة، وذات الأمر بالنسبة للكنيسة البروتستانتية والأرثوذكسية والمرجعية الإسلامية. ولكن ولاية الفقيه في إيران أخذت ترسم لنفسها بعداً تنظيمياً رسمياً ولكنها طبعاً لا تضاهي مكانة وقوة الكنيسة البابوية.

ومثال آخر عن الوحدات الفاعلة والتي لا تتصف بصفة الدولة نذكر المافيات وتجارة المخدرات والسلاح، فهي ليس بالضرورة وحدات سياسية، ولكنها تملك تنظيماً وثقافة مشتركة. وذات الأمر بالنسبة للمنظمات العالمية كالصليب الأحمر والغرين بيس[١].

علم العمل الهادف: إن مفهوم الوحدة الفاعلة، هو مفهوم بسيط وشديد الخصوبة، وهو أحد عناصر علم الفعل أو محاولة التغيير. فكل إشكالية تنجم عن التفاعل والتداخل بين مختلف الوحدات الفاعلة، تسمى بالتنافس. وفي النظام الدولي تسمى بالعلاقات فيما بين الدول.

وتسمى مشكلة سياسية كل مشكلة حيث تلعب الدولة دور أساسي، أو تثير مسألة الوحدة السياسية لهذه الدولة. فكلمة سياسي تستعمل في معناها الأصلي للدلالة على كل ما هو ضمن نطاق المجموعة.

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p ١١.

أما النزاعات الدولية، فتوجد عندما نكون أمام وحدتين دوليتين فاعلتين مختلفتين، فالمشاكل الدولية هي حالات خاصة من النزاعات السياسية.

فالوحدة الفاعلة العادية، تعمل عادةً ضمن نطاقها الجغرافيها داخل حدود البلاد، وهي تخضع لقوانين هذه البلاد. ولهذا كانت الوحدات الفاعلة السياسية معتبرة وحدات سيادية.

فهذا المعني هو ضروري في توضيح معنى النزاع الدولي. فالنزاع بين فرنسا والولايات املتحدة هو نزاع دولي تقليدي. والمنازعة حول الملاحة في نهر الدانوب هي حتماً منازعة دولية.

والتقرير فيما إذا كانت مشكلة هي سياسية أو دولية يتوقف على الظروف. فمثلاً إن معظم مشاكل أوكرانيا ما بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠٤ ليست سوى مشاكل سياسية، ولكن حين تفاقم الخصام حول مشروعية الانتخابات الرئاسية وتدخل كل العالم، بدت أوكرانيا على أنه وحدة سياسية هشة. إذ سعت مختلف الوحدات الفاعلة الداخلية داخل هذه الوحدة السياسية، إلى الحصول على دعم دولي خارجي، مما أدى إلى تدويل الأزمة. ففي الحظة التي تدخل فيها كل من روسيا والاتحاد الأوروبي والوريات المتحدة الأميركية، فإن الأزمة السياسية تحولت إلى أزمة دولية.

من وجهة نظر كلاسيكية، نتحدث عن علاقات دولية، وفي ذات الوقت نفكِّر بالنظام القائم فيما بين الدول. ونعتقد بأن العالم سيكون مكوَّناً من الدول الجيِّدة[1].

فمفهوم النظام الدولي يدخل في إطار العقبات، لأنه من المستحيل أن يحل تفاصي كل التشابطات القائمة.

---

[1] Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p ١٣.

لذا ومن خلال المشاكل التي يثيرها علم محاولة التغيير أو علم الفعل، والذي ينشأ عن تنافس بين ص بوحدتين سياسيتين مختلفتين، لذا يمكننا أن نعرِّف النظام العالمي على أنه مجموعة المشاكل الدولية.

في أي وحدة فاعلة، تكمن فكرة الفعل أو محاولة التغيير، ولكن لكي تهيمن وتتصرف لا بد من أن تملك الوسائل والإمكانات، وهي تختصر بثلاثة عناصر هي: السلطة والقوة والطاقة.

أولاً: السلطة والقوة

١- شكل السلطة وقدرتها على ممارسة الحكم

تركز الجغرافيا السياسية في دراستها على المنطقة الجغرافيا التي يسيطر عليها النظام السياسي، ويعمل داخل حدودها ونطاقها، وذلك سواءً في علاقته الداخلية، أو سياسته الخارجية. فالدولة تمارس سلطاتها فوق إقليمها الجغرافي، وهي تحدد طبيعة النظام وأنواع السلطات، وشكل الحكم ما إذا كان فدرالياً أو موحداً وداخل النظام ما إذا يُعتمد النظام المركزي أو اللامركزي. وأياً كانت أشكال السلطة، فإن ما تهتم به الجغرافيا السياسية هو قدرة الدولة عبر حكومتها المركزية من بسط سلطاتها على كافة أراضي الدولة، وقيامها بدورها كاملاً في إدارة شؤون كافة الأقاليم أو المقاطعات أو الإمارات أو المحافظات والأقضية أو غيره من التقسيمات الإدارية المعتمدة، فالمهم أن تتمكن الإدارة المركزية من خلق وحدة متماسكة وإضفاء صفة التجانس على كافة أقاليم الدولة، لأن غياب السلطة المركزية الفاعلة سيخلق الشقاق والفرقة وعدم التجانس بين هذه المسميات الإدارية للدولة أو بين الفئات المكونة لشعب هذه الدولة. وفي الحقيقة فإن القليل من الدول تمتلك مثل هذه المثالية، إذ أن معظم الدول باستثناء الدول الصغيرة المتجانسة السكان، نجد أنها تحوي مناطق تحدث بها انشقاقات وضعف الولاء، وتحاول الحكومات المركزية احتوائها من خلال

منحها امتيازات خاصة كحالة إقليم كردستان في العراق (رقم ٣٩: خارطة إقليم كردستان في العراق)، او تحاول دمجها في المجتمع كحالة إقليم شنغيانغ الصيني الذي كانت نسبة المسلمين فيه نحو ٩٠%، وكان يسمى بإقليم تركستان الشرقية[١]، فعمدت السلطات الصينية إلى نقل سكان من قومية الهان الصينية لتغيير التركيبة الديمغرافية للمنطقة، بحيث أصبحت نسبة المسلمين في هذا الإقليم نحو أقل من ٥٠% من سكانه (رقم ٤٠: خارطة إقليم شنغيانغ أو تركستان الشرقية في الصين).

لذا فإن الصورة المثالية هي التي تتحقق عندما تمارس الحكومة المركزية كل السلطات السياسية على كل المساحة الواقعة داخل حدود الدولة، وهذا هو الاختبار الحقيقي لفعالية الإدارة المركزية، أي تعيين الحدود المتاحة للحكومة المركزية في بسط نفوذها وسلطتها ضمن نطاقها أومساحتها الجغرافية[٢].

لذا فإن أنشطة السلطة السياسية وقوتها تترك بصمتها الواضحة على المظهر الجغرافي للدول، من هنا كان دراسة طبيعة عمل السلطة السياسية من موضوعات الجغرافيا السياسية، باعتبارها عاملاً في تعديل المعالم الجغرافية للدولة. فيدخل نوع الحكم ضمن اهتمام الجغرافيا السياسية لناحية التعرف على أنواع الحكومات، وما إذا كانت الدولة تعتمد نظام الدولة الواحدة او النظام الفدرالي، حيث تمنح الأقاليم أو الولايات المؤلفة للدولة الفدرالية لاختصاصات سياسية محددة في الدستور الفدرالي، فهذه الفدرالية هي نظام حكم، بعكس اللامركزية التي هي نظام إدارة، والأولى أي الفيدرالية هي موضوع سياسي بامتياز، أما اللامركزية فهي نظام إداري بامتياز. والأولى تهدف إلى حل إشكاليات ذات طابعٍ سياسي ومؤسساتي، وأما الثانية فتهدف إلى تسهيل حصول المواطن على الخدمة.

---

(1) Mohammad-Reza Djalili & Thierry Keliner – Géopolitique de la nouvelle Asie centrale – Op. Cit. p 26.

(٢) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٩٦.

ويمكن تقييم دور السلطة أو الحكومة من خلال مدى كفاءتها في فرض سيطرتها وتنفيذ القانون على كل أجزاء الدولة. وهل الحكومة هي حكومة منبثقة نتيجة انتخابات عامة، وهل هناك أحزاب معارضة لنظام الحكم، وما هي قوة أحزاب المعارضة، وهل تتحالف الأحزاب السياسية أم أن وجهات نظرها متباعدة، وهل في الدولة فساد إداري وسياسي، أم أنه نظام قائم على الشفافية وحفظ ورعاية الصالح العام، وهل يتمتع الحكام بالكفاءة ويعمل من أجل رفاهية شعبه أم لمصالحه الخاصة. ومن ناحية علاقاتها الدولية، فإن مواقف الدولة واستراتيجيتها لناحية التوسع أو الهيمنة أو التدخل في شؤون الدول الأخرى، أو نية شن حروب عدائية على الدول المجاورة، فقد تجرُّ هذه الأفكار الاستعمارية التوسعية مشاكل على الدولة وتستنزف مواردها[1]. ولهذا فإن العلاقات الخارجية دور في قوة الدولة، إذ يستحيل على أي دولة أن تعيش منعزلة فاليوم فإن كل دولة تعتمد على الدول الأخرى، إن من النواحي الاقتصادي أو لناحية التواصل بين الشعوب، أو من الناحية السياسية وتأخذ شكل الانضمام إلى المنظمات الدولية والإقليمية والقارية، وأقصى درجات التعاون هو التعاون العسكري عبر اتفاقيات الدفاع المشترك، وتشكيل الأحلاف والاتحادات، مثل حلف الأطلسي (Nato)، والاتحاد الأوروبي، اتفاقية الدفاع العربي المشترك، واتفاقية الدفاع ما بين الولايات المتحدة الأميركية والكيان الإسرائيلي الغاصب[2].

٢- أنواع السلطة

يتيح مفهوم السلطة، من معرفة ما إذا كانت هذه الدولة مستقلة أم أنها من الدول غير المستقلة، كالمستعمرات والمناطق الدولية ومناطق الحكم المشترك.

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٣.
[2] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٥.

فالمستعمرة هي وحدة سياسية غير مستقلة تحكمها قوة عسكرية خارجية، بحيث يمارس الحكم والإدارة، العسكريون المنتمون إلى الدول الأجنبية الاستعمارية، فيعمدون إلى الاستفادة من المواد الأولية والخام الموجودة في الدولة المستعمَرة وتوفيها للدولة الاستعمارية التي بدورها تعود وتستفيد من السوق الذي توفره الأولى (الدولة المستعمَرة) لتصريف منتجاتها الاستهلاكية. وإذا كانت القرون السابقة هي عصور الاستعمار، لناحية استعمار معظم دول القارتين الأميركية والأفريقية وبعض الدول الأسيوية من قبل الدول الأوروبية المستعمِرة، فإننا اليوم لا نزال نجد بعض المستعمرات مثل الاحتلال الإسرائيلي للدولة الفلسطينية، احتلال بريطانيا لجزر الفوكلاند، اعتبار فرنسا مستعمرات البولينازيا والويلز وفتنا والمايوت والسان بيار وكاليدونيا الجديدة وهي مقاطعات فرنسية فيما وراء البحار (رقم ٤١: خارطة المقاطعات الفرنسية ما وراء البحار).

أما الدولة الواقعة تحت الوصاية أو الانتداب، وفق النظام الذي أقرته عصبة الأمم، الذي وضع بموجبه مستعمرات الدول المنهزمة في الحرب العالمية الأولى تحت انتداب الدول المنتصرة، حيث تعمد الدول المنتدِبة على تدريب الدولة المنتدَبة على إدارة شؤونها الداخلية والسياسية، وهي لذلك تقدِّم لعصبة الأمم تقريراً دورياً عن المناطق الواقعة تحت الانتداب، وما إذا كانت الدول المنتدَبة قد وصلت لمرحلة أصبحت مهيَّأة لنيل استقلالها.

المناطق الدولية، هي مناطق استراتيجية تستحوذ على اهتمام عدة دول، مثالها مدينة تانزير الساحلية على الساحل الشمالي الإفريقي عند مضيق جبل طارق حيث استمرَّ حكمها دولياً من العام ١٩٢٥ ولغاية العام ١٩٥٦، لتصبح بعدها أرضاً مغربية.

أما مناطق الحكم المشترك: فهي مناطق تكون إدارتها من حق دولتين أو أكثر، كالسودان الذي كان تحت حكم الإدارة المشتركة لبريطانيا ومصر حتى العام ١٩٥٥.

والمناطق المحتلة وهي جزء من مساحة دولة ما تحتلها قوات خارجية لمدة محدودة بعد صراع وعداء بين دولتين، كهضبة الجولان السورية ومزارع شبعا اللبنانية التي تحتلها إسرائيل منذ العام ١٩٦٧[١] (رقم ٤٢: خارطة مزارع شبعا).

٣- آلية ممارسة السلطة

السلطة هي القدرة على تعبأة الإمكانات وتحريكها في الاتجاه المرسوم. فوجود الإمكانات دون وجود القدرة على تحريكها، لا يعني شيئاً. وذات الأمر إذا امتلكنا القدرة على تحريك الموارد دون أن نكون مالكين لهذه الموارد. فالسلطة تبنى على التكامل ما بين الإمكانيات المتاحة والقدرة على تحريك هذه الإمكانات[٢]. وهذا ما يستوجب وجود وظيفة التخطيط أو التصميم، وهي وظيفة الإدارة أو القيادة في الوحدة الفاعلة. فالقيادة، هي فعل إعطاء الأوامر ، أما الاتصال فهو القدرة على نقل واستلام المعلومات، والرقابة هي للتحقق من أن كل شيء جرى تأديته جيداً. أما المهارة، فهي تترجم بالقدرة على الاستيعاب. وهذا ما يُسمى بالإمرة (Commandement). وفي اللغة العسكرية تتواجد رباعية القيادة، الرقابة، الاتصال، والمهارة أو الذكاء[٣].

فالقيادة وهي تسعى للتصرف على المستوين الداخلي والخارجي، مما يضمن استمرارية حياة الدولة أو الوحدة ذاتها، أي أمن هذه الدولة. ذلك أن أهم وظائف الكائن هي ضمان الاستمرارية في الحياة. لذا كان على القيادة أو الإدارة في الوحدة الفاعلة أن تواجه كل الأوضاع. فرئيس المشروع أو رئيس الدولة يضع أمامه كل الاحتمالات الممكنة. ولكي يأمر بتصرف يقتضي أن يتأمل كثيراً ويفكِّر كيف يمكن تحريك هذه الموارد المتاحة لكي تحقق

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٩٥

[2] Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 14.

[3] Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 16.

الأهداف المرجوة، على أن يأخذ بعين الاعتبار أن الوحدات الفاعلة الأخرى قد تسعى لإعاقة نشاطه. وهذا ما نسميه بالوحدات المتنافسة[١].

ويمكن أن تعتبر أنظمة القيادة على أنها وحدة تابعة فاعلة للنظام الأساسي. وهنا يمكن أن تواجهنا مشكلة الثقافة والتنظيم. ففي الجيشو والمؤسسات الكبرى، فإن القيادة هي وظيفة معقَّدة، إذ أن فكرة القائد الوحيد أو المتفرِّد والذي فعل كل شيء، هي فكرة كاريكاتورية. ومن هنا نخلص للقول بان القدرة على تحريك والاستفادة من الموارد يتطابق مع مفهوم السلطة. وهو القدرة على تحريك الموارد المتاحة في الطريق الصحيح والوصول إلى المبتغى المناسب. إن هذه المفاهيم هي مفاهيم عامة، تنطبق على كل عمل بدءاً من قيادة دراجة هوائية إلى قيادة دولة[٢].

٤- معنى القوة

القوة (Puissance) هي القدرة على تغيير تصرفات أطراف فاعلة أخرى على الصعيد الدولي[٣]، أو هي تنسيق الطاقات للمرور نحو القرار (La combinaison du potentielle et du passage á l'acte). ولكي نفهم معنى مصطلح القوة، نبدأ بالمفهوم المعاكس، تكون ضعيفاً أو غير قادر، عندما تكون قادراً على تهيئة الموراد، وأن تمتلك إمكانية تحريك هذه الموارد، ولكن لا تملك القدرة أو السلطة على التصرف واتخاذ القرار. الولايات المتحدة الأميركية هي اليوم، القوة الوحيدة المهيمنة في الأرض، فمجموع إنفاقها العسكري السنوي يتجاوز ما تنفقه عشر دول التي تليها في المرتبة لناحية الانفاق

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 16.
(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p ١٥.
(3) Thierry de Montbrial & Jean Klein- Dictionnaire de la Stratégie, PUF 3eme ed 2007 p433.

العسكري. ومع ذلك فإن للقوة الأميركية جملة حدود أو قيود، وأحد مبررات هذه القيود، توضِح التمييز بين القوة والضعف: الرأي العام.

إذ في حالاتٍ كثيرة، لا تستطيع الولايات المتحدة اتخاذ القرار أو الثبات على قرار اتخذته، لأن الوضع السياسي الداخلي (الرأي العام) لا يسمح لها بذلك. فالرئيس جورج بوش لكي يضع خططه للحرب على العراق موضع التطبيق، فلقد أخرج سيناريو مطوَّل ليقنع الرأي العام بمشروعية أسباب الحرب. ولم تنقضِ سنتين على انهيار نظام صدام، حتى بدأ ضغط الرأي العام الأميركي بوجوب سحب القوات الأميركية من العراق[١].

إذٍ يكون من الأهمية التمييز بين الطاقة وهي مفهوم افتراضي، وبين القوة وهي الانتقال لمرحلة اتخاذ القرار.

ثانياً: الطاقة (موجب توسيع هذا المقطع)

إن كلمة الطاقة تعني تقليدياً مجموع الموارد. لتعيين طاقة الدولة نأخذ بعين الاعتبار مثلاً، مساحة أراضيها، شعبها، مواردها الطبيعية... فمجموع هذه الأوصاف والخصائص هي التي تمثِّل طاقة البلد. وإذا أردنا تقديم تعريف أكثر دقة لكلمة طاقة، فنقول بأنها مجموعة النشاطات التي تملكها وحدة فاعلة وتسيطر عليها[٢]. وتقسم الموارد أو مصادر الثروة إلى فئتين، عناصر مادية وعناصر معنوية.

فالعناصر المادية، هي ما اصطلح على تسميتها باللغة الاقتصادية، بأنها عناصر الانتاج. وفقاً للثلاثية التقليدية، الأرض (وتشمل بالمعنى العام سطح الأرض، باطن الأرض والهواء المحيط) العمل ورأس المال.

وإلى جانب هذه المصادر أو العناصر المادية، توجد العناصر المعنوي، في يومٍ كتب كارل فان كلوسويتز مشدداً على أن معنويات الجيش تعكس بصورة عامة معنويات البلد. فالجيش

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 17.
(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 16.

الأحمر انهار مع انهيار الاتحاد السوفياتي. وفي أي مشروع فإن معنويات الشركاء هي عامل أساس في النجاح.

لهذا وخلافاً لنظريات الاقتصاد التقليدية أو الكلاسيكية المجددة، نعتبر أنه من الأفضل زيادة رواتب العمَّال لكي نرى التأثير الإيجابي على معنويات العاملين. لذا نهيِّئ المؤشرات لقياس العناصر المعنوية، فهي توجد على مستوى الموارد، وكذلك على مستوى إمكانية تحريك أو التصرف بهذه الموراد[١].

ذكرنا فيما سبق، أن القوة الاقتصادية للدولة، هي العامل في تصنيف الدول ما بين نامية ومتخلفة ومتقدمة، وبيَّنا أن القوة الاقتصادية لا تقلُّ شأناً عن القوة العسكرية في تبيان قوة الدولة وموقعها في النظام العالمي, فالولايات المتحدة تعدُّ القوة الأولى في العالم ليس فقط بسبب ترسانتها العسكرية، وإنما أيضاً لمكانتها الاقتصادية.

فالثروة في عالمنا هي القوة أو وسيلة تؤدي إلى القوة، وهي تتجاوز مجرد تملكها لموارد معينة أو ارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي، لأن الدولة القوية اقتصادياً هي الدولة ذات اقدرة الانتاجية الكبيرة، ولا يقتصر الانتاج على تلبية حاجة أفرادها فحسب، بل يجب ان يكون لها فائض ضخم للتصدير إلى الخارج في وقت السلم، ويغطي حاجة البلاد لفترة طويلة أثناء الحرب. كما تتسم الدولة القوية اقتصادياً بالتقدم العلمي والتكنولوجي المتطور، ويكون لصناعاتها الدور الرئيسي في التنمية وجذب رؤوس الأموال، وتستخدم أفضل الأساليب لتطوير انتاجها الزراعي ليس فقط لسد حاجاتها إنما للتصدير ايضاً[٢].

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 16.

(٢) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٣.

ويعدُّ عنصر الاكتفاء الذاتي للدولة، من أهم عناصر قوة الدولة التي تظهر أهميتها في وقت الحروب، والاكتفاء الذاتي مفهوم نسبي فقد تكتفي دولة في بعض السلع وقد تنقصها موارد أخرى لكن تسطيع التغلب على هذا النقص بصورة أو بأخرى.

وعن حالات الاكتفاء الذاتي نذكر ألمانيا التي كان لقوة اقتصادها واكتفاءها الذاتي الأثر الواضح في مقاومة الحلفاء بخلال الحرب العالمية الثانية. إذ هناك القليل من الدول التي يمكن أن توصف بأنها حققت الاكتفاء الذاتي في مواردها، مؤخراً أعلنت إيران أنها حققت الاكتفاء الذاتي في جميع القطاعات الحيوية.

وترى الحكومات أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في أوقاتٍ معينة هو أمر مرغوب فيه للأمن الذي تحققه هذه السياسة، وخاصةً في اوقات الأزمات أو إذا ما تعرضت الدولة لحصار. وتحظى الموارد الاستراتيجية والسلع الغذائية التي لها النصيب الأكبر من الاهتمام الرسمي، وتسعى لتقديم الحوافز للقطاع الخاص من أجل الاستثمار في هذه المشروعات.

ومع التقدم التكنولوجي، فإن التقدم الاقتصادي والعسكري، يرتبط بالتقدم الصناعي، حيث تتخذ قدرة الدولة الصناعية كأحد المقاييس لتحديد قوتها السياسية، وخير مثال على ذلك أن القوى العظمى الكبرى (الولايات المتحدة الأمركية، روسيا، الصين، اليابان، فرنسا، بريطانيا، ألمانيا)، إنما هي فعلياً الدول الصناعية العظمى في العصر الحديث. فتقدم الصناعة يؤدي إلى تقدم كل وسائل الانتاج وزيادة الدخل وتحسن مستوى المعيشة في الدولة. ولهذا السبب كان ازدياد تأثير الدول الصناعية، واصبحت من القوى العظمى المؤثرة في أحداث وخريطة العالم السياسية.

وفي الغالب تتوطن المناطق الصناعية في أماكن آمنة داخل الدولة، بحيث تكون بعيدة عن متناول وسائل الحرب المعادية. لذا لم تكن الصناعات لتتركز في املناطق الساحلية حتى لا تكون عرضة لضرب الأساطيل والقطع البحرية. فمثلاً، ركَّزت روسيا صناعاتها الثقيلة فيما وراء جبال الأورال لتحقيق أقصى درجات الأمان. ولكن مع تطور أساليب الحرب الحديثة،

ووجود القنابل والصواريخ الذكية والموجهة، إضافةً إلى سلاح الطيران المزوَّد بأقصى الأسلحة التدميرية شديدة الدقة، فإنه لم يعد هناك مناطق أمان للصناعات الثقيلة المدنية أو العسكرية.

وتعدُّ الموارد الطبيعية أحد عوامل القوة الاقتصادية للدولة، فهي بالغة الأهمية في احتساب قوة الدولة، وهي تضمُّ التربة والمياه والغابات ووالمعادن وغيرها من المصادر الطبيعية التي لا تعوَّض. ولكن هذه الموارد تختلف من دولة لأخرى ففي تركيا ولبنان، فإن المياه هي أهم موارده الطبيعية، وفي دول الخليج فإن النفط هي المورد الطبيعي الأبرز لهذه الدول. وكذلك فإن ذات الموارد الطبيعية قد تبدل أهميتها، فمثلاُ معدن التيتانيوم الذي كان يستخدم في السابق كأحد مواد الطلاء، فقد قيمته عند اكتشاف مواد أخرى، واليوم عاد واكتسب أهمية مميزة عندما استخدم في صناعة الطائرات النفاثة[١]. ويتوقف الاستفادة من الموارد الطبيعية على معرفة مدى قربها من الحدود او في أعماق الدولة، أو في منطقة مأهولة أم معزولة، وما هي قيمتها الاقتصادية وجدوى استغلالها، وهل تملك الدولة العناصر والكفاءة اللازمة لاستخدام هذه الموارد أم انها بحاجة لخبرات دول صديقة أو غير صديقة لاستثمار هذه الموارد[٢].

ثالثاً: وسائل المواصلات

تعتبر وسائل الاتصال والنقل بين كافة مواقع الدولة، من عناصر الجغرافيا السياسية، لمعرفة ما إذا كانت الدولة قد حققت شبكة النقل بين أقاليمها المختلفة، ذلك أن طرق المواصلات تعد احد أهم عناصر تحقيق التماسك بين أجزاء الدولة، وتذيب الفوارق بين هذه الأجزاء، وتجعل للدولة القدرة على التدخل في كافة الأحداث التي تقع في أي منطقة داخل

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٠.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٧٥.

حدودها. كما تؤدي وسائل النقل دوراً في الربط بين مراكز الانتاج الصناعي والزراعي بمناطق النواة والعواصم، مما يسهم في تسهيل حركة التجارة والسياحة[١].

وتعد طرق النقل والمواصلات وحركة البضائع والسكان، من الأسس الهامة في قياس قوة الدولة، إذ لا يمكن لأي دولة حديثة ان تنهض دون أن يكون لديها نظام اتصال فعَّال يربط بين كافة أرجاء الدولة، ويحقق التواصل بين الوحدات المحلية وكل قطاعات الانتاج. من هنا يبرز دور وسائل الاتصال في تحقيق قوة الدولة أو اضعافها[٢] (رقم ٤٣: خارطة المواصلات في لبنان).

ثالثاً: السكان

تعد دراسة السكان قاسماً مشتركاً لدراسة أي قضية في اي فرعٍ من فروع الجغرافيا، وتهتمُّ الجغرافيا السياسية، بدراسة السكان لناحية إيضاح الموضوعات التي تؤثِّر جلياً في الظاهرة السياسية ومنها حجم السكان وتوزيعهم والتركيب العمري والنوعي والخصائص السكانية للدولة والهجرة.

وتتباين دول العالم من حيث حجم سكانها، حيث يأتي في قمة هرم الحجم السكاني في العالم، دولة الصين حيث يتجاوز عدد سكانها الـ مليار وثلاثماية مليون نسمة، تليها الهند التي تجاوز عدد سكانها الميار ومئة مليون نسمة. ثمَّ الولايات المتحدة الأميركية التي يبلغ عدد سكانها أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة، وروسيا الاتحادية أكثر من ١٤٠ مليون نسمة.

بالمقابل هناك أكثر من ٣٠ دولة لا يتجاوز عدد سكانها الـ ١٠٠ ألف نسمة، ومن هذه الدول من لا يتجاوز عدد سكانها الـ ١٠ آلاف نسمة نذكر منها: سانت هلينا ٦,٦٠٠ نسمة، جزر الفوكلاند ٣,٠٠٠ نسمة، توكلو ١,٤٠٠ نسمة، والفاتيكان ٨٠٠ نسمة.

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٠.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٢٤.

ولحجم السكان دلالة هامة في التوجهات السياسية للدولة، ففي الفترة الاستعمارية أو فترة تكون الأمبرطوريات، فإن حجم السكان كان أحد العوامل المساعدة في السيطرة الإستعمارية للأوروبيين فيما وراء البحار. فمثلاً إن عدد سكان فرنسا كان حوالي ٢٥ مليون نسمة إبان الثورة الفرنسية، وقد ركَّز نابليون على هذا العدد لتكوين جيش كبير بمعنوياتٍ كبيرة منحته القدرة على احتلال عدد كبير من الدول.

وتغيَّرت هذه الصورة في القرن التاسع عشر، حيث تناقص معدل نمو سكان فرنسا حتى أصبح أقل معدلات النمو في القارة الأوروبية. وفي هذه الفترة أصبح عدد سكان ألمانيا يفوق عدد سكان فرنسا، مما ساعد على نمو قوة ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ليكون لها الدور الأبرز في تغيير موازين القوى في أوروبا.

وفي تفسير أسرار قوة الجيش الألماني، فإن ذلك لم يكن معتمداً فقط على الكثرة العددية للسكان، بل أضيف إليها الروح القتالية العالية التي اتسم بها الجيش، وقد كان التفوق العددي إحدى السمات الواضحة لألمانيا في صراعها مع فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى. اما الحديثة، فلم تعد تحسم بأعداد السكان مع تقدم تكنولوجيا الحرب املعقَّدة وباستخدام أسلحة أشد فتكاً وتوجه عن بعد نحو أهدافها بحيث أصبحت الغلبة للتكنولوجيا العسكرية، وأصبحت قيمة عدد الجنود محدودة إلا في حالاتٍ خاصة[1]، كالفصل بين قوى متنازعة كحالة انتشار قوات الناتو في صربيا للفصل بين القوى المتحاربة (١٩٩٩)، أو تحرير أرض كتحرير الكويت من القوات العراقية (١٩٩١)، أو لاحتلال أراضي كاحتلال العراق (٢٠٠٣)، ومحاولة الجيش الاسرائيلي التقدم داخل الأراضي اللبنانية (٢٠٠٦).

١- كثافة السكان توزيعهم

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٩٩.

إن كان كثافة السكان وتوزيعهم جغرافياً، هو أكثر تأثيراً في قوة الدولة سياسياً اقتصادياً من حجم السكان، وتحتسب الكثافة السكانية من خلال قسمة عدد السكان على مساحة الدولة. وهي مقياس الضغط السكاني فوق رقعة الأرض. ومن ثمَّ فإنها توضح معاني سياسية قيِّمة، ففي العصور القديمة عندما كان العدد يعني القوة، ويشكِّل التزاحم السكاني في الدولة حافزاً لها على التوسع العسكري لاكتساب أراضي جديدة (من امثلتها ألمانيا واليابان).

إلا أن أرقام الكثافة السكانية، هي أرقامٍ خادعة، إذ أنها لا توضِّح ما إذا كان توزيع السكان متوازناً إقليماً داخل أراضي الدولة، كما هو الحال في مصر حيث يتركز نحو ٩٥% من السكان فوق مساحة لا تتجاوز ٥% من مساحة مصر، في الوقت الذي تبقى فيه أراضٍ شاسعة خالية أو شبه خالية من السكان تسمى بالواحات (رقم ٣٤: خارطة مصر). وفي دولٍ أخرى يجري توزيع السكان في أقاليم تفصل بينها أراضٍ قفراء، وذلك في الحالة التي يكون سكان الإقليمين ينتميان إلى اتنيات أو قوميات مختلفة[١].

هذا وتعتمد الحضارة الحديثة على نوعية السكان التي أصبحت احد العناصر المؤثرة في الجغرافيا السياسية للدولة أكثر من حجم السكان وكثافتهم وتوزيعهم. ففي بلدان العالم النامي، يلاحظ أن الغالبية العظمى من السكان هم من الأميين والفقراء يعانون من الأمراض وسوء التغذية، وهذا ما ينعكس على كفاءة العمال، مما يصبغ هذه الأقاليم بصبغة متخلفة، يصبح معها الشغل الشاغل للشعوب والحكومات هو تأمين الغذاء والدواء، وقد يدفع الشعوب إلى النقمة على حكوماتهم وعدم الولاء لها، وسرعان ما تشتعل بسبب الرغيف الثورات والاضطرابات[٢]. وهذا ما نلاحظه فعلياً من كثرة الثورات والانقلابات في العالم الثالث التي تجد في النقمة الشعبية على الظلم والفساد وسوء الإدارة، مبررات للمشاكرة في هذه الانقلابات أو في اللامبالاة في الدفاع عن الدولة والحكومة.

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٠٠.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٠٢.

أما في البلدان المتقدمة حيث معظم سكانها من المتعلمين ذوي الثقافات العالية ومستويات التقدم التكنولوجي المرتفعة، ويتمتعون بتغذية وخدمات عامة جيّدة وحياة آمن وهادئة وخالية من المشكلات، مما ينعكس إيجاباً على الحالة السياسية للدولة.

٢- التنوع العرقي والطائفي للسكان

الجيوبوليتيك هي نطاق العقائد والمذاهب الفكرية ذات الصلة بالإقليم. ووفقاً لهذه النظرية، فإنه في مجال السياسة الدولية يعكس كل فعلٍ أو تصرف من خلال وظيفة إبراز تمثيلي للإقليم. فمثلاً فإن نشأة كل من يوغسلافيا وتشيكوسولفاكيا في العام ١٩١٨، كانوا بمثابة الخاتمة للتطور أو للسياق العقائدي الذي جمع كل قومية البانسلافيسم (panslavisme)، ونشأة الاتحاد الأوربي كان أيضاً محاولة لإنجاز مشروع إيديولوجي[١]. إن الإيدولوجية أو العقيدة هي قريبة من الثقافة. حيث تؤدي هذه إشاعة الأساطير حول إيدلوجية أمة دوراً في تقوية الرابط داخل الوحدة السياسية نحو ثقافتها الخاصة، ونلاحظ دائماً وجود ما يسمى بإعادة بناء لهذه الأساطير والمقولات، وتكون غالباً مترابطة منطقية، لدرجة يصعب معها الفصل بين الخطأ والصواب[٢] .

ولناحية الجغرافية السياسية تعد دراسة اللغة والديانة والأصل العرقي من الأمور الهامة وذات قيمة في دراسة التركيب السكاني. فدراسة مجموعة لغوية تتحدث لغة مختلفة عن بقية أجزاء الدولة، أو دراسة مجموعة تدين بعقيدة تختلف عن الديانة الرسمية للدولة (بخاصةٍ إذا كان هناك صراع عسكري كحالة النزاع في اليمن – بين القوات الحكومية وجماعة الحوثيين المتمركزين في صعدة شمال اليمن، وهم جماعة تعتنق المذهب الأثني عشري وهوغير المذهب الرسمي في الدولة). وكذلك دراسة العرق أو السلالة التي ينتمي إليها مواطنو

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 20.
(2) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 21.

الدولة، كالعرق الأبيض والأسود في الولايات الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة الأميركية. أو تزايد فئة دينية على حساب فئة أخرى كما حصل في لبنان، حيث انقلب ميزان الأكثريات، إذ بينما كانت الطوائف المسيحية هي الأكثر عددياً بتاريخ تكوين دولة لبنان الكبير في العام ١٩٢٤، نجد اليوم أن أعداد المسلمين تفوق أعداد المسيحيين.

ومما لا شكَّ فيه أن لهذه الاختلافات أثر في حصول المشاكل التي تواجه التجانس والوحدة الوطنية للدولة، فمثلاً إن النزاع الديني بين المسلمين والهندوس كان السبب الرئيسي وراء نشأة دولة باكستان في العام ١٩٤٧، التي كانت تتألف من باكستان وبنغلادش، وفي العام ١٩٧١ انفصلتا إلى دولتين وكان العامل المؤدي للإنفصال هو بفعل العامل الجغرافي، ذ لم يكن هذا الإقليمان متصلان ببعضهما، بل كانت الهند تقف حاجزاً بينهما[١] (رقم ٣٥: خريطة التوزع الطائفي في وولادة دولتين إسلاميتين باكستان وبنغلادش).

وبالواقع فإن هناك استحالة أن تخلو دولة من أقلية سكانية معينة سواء لغوية أو عرقية أو دينية، بخاصة في ظلِّ الهجرة الدائمة فيما بين الأمم، ولكن حديثنا يكون عن أقليات وازنة أي يكون لها تأثير ما في تركيبة المجتمع وتملك القدرة على فرض ثقافتها ويكون لها ممثلين في البرلمان، كمثل اليهود في إيران، والمسلمين في بريطانيا. لذا وعلى ضوء دراسة التجانس العرقي والثقافي للمجموعات الوازنة، يمكن أن نلحظ ثلاثة أنماط من الدول:

- دولة يتجانس سكانها في سماتٍ واحدة دينياً ولغوياً وثقافياً. ومن حسن الحظ فإن معظم دول العالم تنتمي إلى النوع الأول والتي نادراً ما تواجه مشكلات عرقية أو دينية أو ثقافية ومثالها معظم الدول العربية التي تتميز بوحدة اللغة والمذهب والقومية.

---

[1] Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p398.

- دولة تضمُّ غالبية من السكان ذات سمات واحدة وأقليات مبعثرة فوق رقعة الدولة، ومن أمثلتها اوزباكستان، التي يشكل الأوزبك ٧٥% من سكانها، وتضمُّ مجموعة أقليات أبرزها، الروس ٦%، الطاجيك ٥%، الكازاك٤%، الكاراكالباك ٢%، التتر ٢%. وكمثالٍ آخر: تركمانستان التي يشكِّل التركمان ٧٧% من سكانها، وتضمُّ عدة أقليات أبرزها الأوزبك ٩%، الروس ٧%، التتر٢%.
- دول تضمُّ غالبية متماسكة من السكان ذوي سمات واحدة، ولكن تضمُّ أقليات (لغوية أو دينية أو عرقية) تعيش في منطقة واحدة من إقليم الدولة ومن أمثلتها الأكراد في كردستان – العراق، الفرنسيون في كيبيك – كندا، المسلمون في الهند، الزيديون في صعدة– اليمن الذين يتعرضون لحملة تصفية من القوات الحكومية، وكذلك مسلمي الألبان في كوسوفو الذين تعرضوا لأبشع حملة تصفية عرقية من قبل الحكومة الصربية.
- دولة تضمُّ جماعات مختلفة لغوياً أو عرقياً أو دينياً، ولكنها متقاربة من حيث العدد بحيث لا يمكن الحديث عن أقلية وأكثرية، ومن أمثلتها: لبنان الذي يضمُّ مجموعات كبيرة ذات نسب متقاربة حيث يشكِّل السنة ٢٧,٢% من الناخبين، والشيعة ٢٦,٨%، والموارنة ٢١,٤%، والروم الأرثوذكس ٧,٤%، والدروز ٧,٤%، والروم الكاثوليك ٥%..[١]. ومن الأمثلة أيضاً نذكر: كازاخستان التي يشكل الكازاك٥١% من سكانها، والروس ٣٢% بالإضافة لبعض الأقليات مثل: الأوكران ٥% والتتر ٢%... وكمثال ثالث: قيرغزستان التي يشكِّل القيرغيز ٥٦% والروس ٣١%.. [٢].

---

[١] لا يوجد إحصاء رسمي في لبنان، ولقد اعتمدنا في هذه النسب على عدد الناخبين في الانتخابات التي جرت في ٧ حزيران ٢٠٠٩.

[2] Mohammad-Reza Djalili & Thierry Keliner – Géopolitique de la nouvelle Asie centrale – PUF 2001 p35.

وما ينبغي الإشارة إليه أن هذه الأقليات الوازنة، تستطيع إذا ا كانت تعيش مجتمعة في إقليم واحد، كحالة الأكراد في شمال العراق، والمسلمون في كشمير الهندية، والحوثيون في صعدة شمال اليمن، فإن هذه الأقليات إذا ما احتفظت بسماتها الثقافية والحضارية من لغة وديانة وعادات وتقاليد، وهي سمات تتحول إلى شعورٍ قوميٍ تصبح مع الوقتِ نغماً شاذاً في التناسق والتماسك في الدولة، وتتحول إلى طلب بالانفصال عن الدولة الأم. ومن أمثلتها انفصاليو الباسك في شمال اسبانيا، وجيش التحرير الإيرلندي في إيرلندا الشمالية، ونمور التاميل في سيريلنكا قبل أن تقمعهم الحكومة في النصف الأول من العام ٢٠٠٩ وتقضي على قياداتهم وتدمِّر قوتهم العسكرية، مع ذكر ان سبب النزاع في سيريلنكا إنما هو نزاع عقائدي، إذ يدين السيريلنكيون بالديانة البوذية، بينما يدين التاميليون بالديانة الهندوسية[١] (رقم ٣٦: خريطة التوزع الطائفي في سيريلنكا). والحركة الشعبية لتحرير جنوب السودان، التي ترفض هيمنة القبائل العربية على موارد الدولة، وتعتبر أن القبائل الإفريقية تستحق أن يكون لها دور ومكانة في حكم وإدارة السودان، كما ترفض تكريس الديانة الإسلامية كنظامٍ للحكم في ظلِّ وجود أقليات دينية وازنة بخاصةٍ في مناطق الجنوب حيث تصبح هذه الأقليات الوزانة أكثرية، وتطالب الحركة بانفصال الجنوب، ضمن الحدود التي تركها البريطانيون عند استقلال السودان في كانون الثاني/يناير ١٩٥٦، عند حدود النيل الأبيض[٢]، وهى تشمل المديريات الجنوبية الثلاث: الاستوائية وبحر الغزال وأعالي النيل، ويطالب الجنوبيين أيضاً بضم مناطق إبيى وجبال النوبا التي تقع ضمن الحدود الإدارية لكردفان، ومنطقة جبال الانقسنا والتي تقع في ولاية النيل الأزرق. وإذا ما تحقق السيناريو بقيام دولة (يسمونها "مسيحية") في جنوب السودان (رقم ٣٧: خارطة جنوب السودان)، كان

---

(1) Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p361.

(2) Aymeric Chauprade- géopolitique constante et changement dans l'histoire –Op. Cit. p186 et 233.

ذلك بمثابة دمغ بظلامية مستقبل الدول العربية التي تشهد تنوعاً عرقياً أو دينيا داخل حدود الدولة الواحدة (كسوريا ولبنان ومصر والجزائر وتونس والمغرب، وبعض دول الخليج باختلافاتها المذهبية).

ومن الأمثلة التي يمكن ذكرها، قضية الأمازيغ في شمال أفريقيا، وتحديداً في المغرب، إذ بالرغم من الاعتراف بحقوقهم كأقلية، ما زالت السلطات العامة تعتبر أن الاعتراف المطلق بالاختلافات الثقافية والعرقية يشكل قلقا أمنيا مما يساعد على استمرار بعض ممارسات التمييز والاضطهاد المتعمد. هذه المواقف المتناقضة تساهم في تنامي الشعور بالاغتراب الثقافي واللغوي، وتزيد من مشاعر الإقصاء بين الأمازيغ، وبالتالي تعقيد الاندماج الوطني. وقد تبنى بعض الأمازيغ مواقف متطرفة عبر نسج تحالفات مع أطراف خارجية، مثل الأكراد وبعض المنظمات الإسرائيلية. يمكن تحديد المسألة الأمازيغية في المغرب بقوننة الأمازيغية واعتمادها لغة رسمية للبلاد مع إجبارية تدريسها .إعادة كتابة تاريخ المغرب، واستعمال اللغة الأمازيغية في الحياة العامة، والترخيص للأسماء الأمازيغية، وتنمية الجهات الأمازيغية الفقيرة اقتصاديا واقتسام الثروات الطبيعية، وبالرغم من عدم وجود نزعة انفصالية لدى الأمازيغ إلا أن السلطات الرسمية لا زالت مترددة في تحقيق مطالبهم[١] .

٣- التنوع الثقافي والمجتمعي للسكان

تتميز كل مجموعة بشرية بخاصية تتضمن عنصرين أساسيين، هما الثقافة والتنظيم. فالثقافة هي مفهوم متصل بعلم العادات، فهي اللحمة التي تربط بين الناس في مجتمعٍ واحد. وتجعلهم يتواصلوان فيما بينهم، فمثلاً لشعب الصين عادات خاصة تجعل الأجنبي تائهاً لأنه لا يستطيع فهم أو تفسير الكثير من تصرفاتهم. وفي الهند مثلاً، فإن استدارة الرأس من

---

[١] سعيد بنيس - تدبير المسألة الأمازيغية في المغرب: المبادرات والمواقف والتفاعلات – جريدة النهار - صفحة قضايا النهار تاريخ ٣٠-٨-٢٠٠٩ .

اليمين إلى الشمال فهذا يعني أنه يقول نعم. فالثقافة هي مجموع التصرفات والمعارف التي تظهر الانتماء إلى مجموعة[1].

يمكن أن نجد ثقافة واحدة في كامل الإقليم، دون أن يتوفر التنظيم الذي يعالج مشاكل هذه المجموعة في نطاقها الجغرافي. فمثلاً في أميركا اللاتينية، وتحديداً في كولومبيا، هناك مناطق كاملة هي خارج السيطرة الحكومية إذ يسيطر عليها وحدات فاعلة تتعاطى تجارة المخدرات بطرقٍ غير مشروعة. وكذلك الأمر في القارة الأفريقية فالدولة المسماة زائير أو الكونغو أو كنشاسا أو جمهورية الكونغو الديمقراطية هي دولة مجاملة.

ففي هذه شبه– الدول، هناك وحدات فاعلة تعمل إلى جانب الحكومة، ويمكنها أن تحدث نشاطات خارجية معتبرة. وهذه حالة طالبان في أفغانستان. فشبه الدولة لا تشكل حقيقةً وحدة فاعلة.

وكذلك فالدولة التي لا يكون لشعبها ثقافة واحدة جامعة، فهذه الدولة يمكن أن توصف بانها دولة ذات وحدة فاعليتها غير مكتملة. وهذه حالة الأمبرطوريات والاتحاد السوفياتي قبل العام ١٩٩١. فلقد حاول السوفيات الظهور على أنهم أمة، وكتب غورباتشوف عن الأمة السوفياتية في العام ١٩٨٥، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، لأنه كان ينقص الاتحاد السوفياتي وجود الثقافة الواحدة. فالشيوعية سرعان ما تكسَّرت أمام النظريات الأخرى ولم تنجح في أن تكون الثقافة الموحدة للدول السوفياتية.

وفي حالاتٍ قد تكون دولة ليست مؤلفة من أمة واحدة، إذ يوجد فيها منتمين إلى أمم وقوميات متعددة، بالمقابل قد نجد أن أمة واحدة منتشرة في عدة دولة. ومنذ بداية القرن العشرين تراود الشعوب العربية أحلام الوحدة، التي تحاول إظهارها بأشكالٍ مختلفة. ولكن بزوغ وحدة سياسية عربية هو أمر لم يتحقق حتى اليوم. فهناك أمة عربية ولكن لا يوجد وحدة سياسية عربية. أو لا يوجد دولة عربية.

---

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Puf 2 éme éd. 2008 p5.

وكمثالٍ آخر نذكر: لا يوجد أي تطابق بين الدولة الألمانية والأمة الألمانية، حيث نجد أقليات من القومية الألمانية في أماكن مختلفة من العالم.

فالأمثلة عن الدولة – الأمة هي قليلة، لذا فإن الحديث يجري عن مقومات أخرى في تكوين الدول، فمثلاً ابندأ اندريه ساغفراید محاضراته عن بريطانيا العظمى بالقول، بريطانيا هي جزيرة وكل الباقي يلحق". وذات الأمر ينطبق على اليابان، أما كورسيكا فتتميَّز بأنها جبل يقبع على الماء[1].

٤ – الهجرة واللجوء

١–الهجرة

إن الهجرة كظاهرة مؤثرة في الجغرافيا السياسية، هي الهجرة الدولية والتهجير الإجباري.

الهجرة الدولية: يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين هما زمن حركة الأوروبيين واستعمارهم للعالم وتأثيرهم في رسم خارطته السياسية عن طريق الهجرة والتوطين، أما في الزمن الحالي فإن الدول تعوِّض النقص السكاني أو النقص في العمالة عن طريق تشجيع الهجرة إليها مثل كندا والبرازيل واستراليا والولايات المتحدة الأميركية... فتدعم هذه الدول وتشجع المهاجرين على الاستقرار في إقليمها لصبحوا مواطنين.

وغالباً ما تنتقي الدولة للمهاجرين وفقاً لحاجاتها، ويكونوا عادةً من فئة المتعلمين وذوي المهارات الفنية العالية أو من أصحاب رؤوس الأموال، وهم فئة تكون بلدانهم الأصلية بحاجة إليهم، ومن ثمَّ فإن نزوحهم يعدُّ استنزافاً لعقول وطاقات دول العالم الثالث.

أما النوع الثاني من الهجرة، فهي الهجرة المؤقتة التي تشجع عادةً الدول المصدرة على حصولها وذلك بغية تحسين أوضاع سكانها وتنمية مواردها المالية، وتكون هذه الهجرة المؤقتة مقتصرة على فئة محددة من السكان، وبالمقابل فإن الدول المستقبلة لهذا النوع من

(1) Thierry de Montbrial , Géographie politique, Op. Cit. p 8.

الهجرة، تكون بحاجة لهذا النوع من المهاجرين لسد العجز في قواها البشرية العاملة في بعض المجالات. حيث شهد القرن العشرين حركة هجرة وانتقال العمال إلى دول أوروبا الغربية والخليج العربي والولايات المتحدة الأميركية وجنوب أفريقيا[١] (رقم ٣٨: خارطة الهجرة إلى أوروبا).

ويؤدي عودة المهاجرين إلى بلادهم إلى التأثير السلبي على اقتصاد الدولة الأم، فعودتهم تعني ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض مستوى الدخل بصورة بصورة فجائية، مما يؤدي إلى ارباك اقتصادي وسياسي داخلي. وهذا ما حصل مثلً بعد عودة مهاجري الجاميكا والمكسيك والجزر الكاريبية إلى بلادهم بعد الانتهاء من حفر قناة بنما. أو عودة العمال اليمنيين إلى بلادهم من دول الخليج العربي.

ولكن ما ينبغي الإشارة إليه إلى أنه ليس من المفترض أن يعود هؤلاء المهاجرين المؤقتين إلى بلادهم، إذ في حالاتٍ كثيرة يندمج هؤلاء المهاجرون في البلاد المستقبلة وينفرط الرباط الذي يربطهم مع بلدهم الأم، وفي حالاتٍ ثانية هناك أنواع من المهاجرين الذين لا يرغبون بالعودة إلى بلادهم وفي نفس الوقت لم يستطيعوا الاندماج الكلي في الدولة المستقبلة، إذ ظلوا محتفظين بعاداتهم وثقافتهم ومن أمثلتهم الأكراد والأتراك في ألمانيا، والعرب التونسيين والجزائريين والمغاربة في فرنسا. وقد نشأ عن هذا الواقع مشاكل سياسية للدولة المستقبلة، فظهرت أحزاب مناهضة لبقاء هؤلاء المهاجرين غير المندمجين في المجتمع الجديد وتطالب بترحيلهم إلى بلادهم[٢]، لكن حتى في هذه الحالة فإن الدول التي تستقبل عمالة مؤقتة لا تستطيع أن تستغني عنهم جميعاً، لأنهم يعملون في حرفٍ شاقة ووضيعة لا يرضى أن يعمل بها السكان الأصليون، ورغم أن هذه العمالة الوافدة قد أصبحت جزءاً من المجتمع الجديد وحازت على جنسية هذه الدولة، لكن لا زال هؤلاء المهاجرين يشعرون بسوء المعاملة

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٠٩.

[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١١٠.

والتفرقة عن بقية أبناء الدولة، لهذا نلاحظ استمرار النزاعات والمشاكل بين مكونات هذه الدولة[١].

٢- اللاجئون

يطلق لفظ "لاجئ" على كل شخص يوجد، بنتيجة أحداث وقعت، وسببت له خوف له من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، خارج بلد جنسيته، ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، أن يستظل بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق بنتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، أن يعود إلى ذلك البلد. وإذا كان الشخص يحمل أكثر من جنسية، تعني عبارة "بلد جنسيته" كلا من البلدان التي يحمل جنسيتها. ولا يعتبر محروماً من حماية بلد جنسيته إذا كان، دون أي سبب مقبول، لم يطلب الاستظلال بحماية واحد من البلدان التي يحمل جنسيتها. ويتوقف منح هذا الشخص صفة اللاجئ إذا استأنف باختياره الاستظلال بحماية بلد جنسيته، أو إذا استعاد باختياره جنسيته بعد فقدانه لها، أو إذا اكتسب جنسية جديدة وأصبح يتمتع بحماية هذه الجنسية الجديدة، أو إذا عاد باختياره إلى الإقامة في البلد الذي غادره أو الذي ظل مقيما خارجه خوفاً من الاضطهاد، أو إذا أصبح، بسبب زوال الأسباب التي أدت إلي الاعتراف له بصفة اللاجئ، غير قادر على مواصلة رفض الاستظلال بحماية بلد جنسيته[٢].

وتتحقق صفة اللاجئ للفئات التي تضطر إلى الهجرة القصرية، أو حركات عبور إجبارية تجاه دول اخرى. وأشهر لاجئي العالم هم اللاجئون الفلسطينيون الذين أجبروا على الرحيل من ديارهم بعد نكبة العام ١٩٤٨ ونشأة دولة إسرائيل. واليوم هناك الاجئون العراقيون في

---

(١) فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١٠٩.

(٢) الإتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين تاريخ ١٩٥١/٧/٢٨ والمعدلة بموجب البروتوكول الخاص بوضع اللاجئين لعام ١٩٦٦.

دول الجوار بعد الاحتلال الأميركي للعراق في العام ٢٠٠٣. وكذلك إجبار سكان إقليم كوسوفو على ترك الإقليم حيث خرج نحو نصف مليون لاجئ في العام ١٩٩٩ إلى دول الجوار. ونذكر أيضاً اللاجئين السودانيين الهاربين من أحداث دارفور وأحداث جنوب السودان.. .

وتقرب من حركة الهجرة القصرية عملية تبادل السكان بين الدول، ومن أمثلتها: حركة تبادل السكان بين الهند وباكستان بعد تقسيم الهند في العام ١٩٤٧ ونشأة دولة باكستان. وحركة تبادل السكان بين الأتراك واليونان بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى[١].

وتتعقد مشكلات اللاجئين إذا تأخر حل مشكلتهم وإعادتهم إلى أوطانهم أو أيجاد وطن بديل لهم، فقد يضطر اللاجئ إلى مغادرة دولة اللجوء إلى دولة ثالثة يجد فيها الاستقرار الذي ينشده، أو يضطر للبقاء في دولة اللجوء فيعيش في معسكرات أو مخيمات للاجئين لا تتوفر فيها مقومات الحياة، ويكون اللاجئ محروماً من فرصة العمل. وتتعقد المشكلة لأبناء اللاجئين الذي يولدون في بيئة صعبة، فيشعرون بالحقد والغضب، ويكون لديهم الشعور بالانتقام ممن سبب هجرتهم قوياً، فإذا ما كُبِّلت أيديهم من الدولة المضيفة، فإنهم قد يدخلون في صراع معها، أو يحدثون اضطرابات على أراضيها[٢].

الفقرة الرابعة: البحار

تهتم الجغرافيا السياسية بالبحار كونها تمثِّل نحو ٧٠% من مساحة الكرة الأرضية، وتمثِّل عصب التجارة والاتصال والموارد لكثيرٍ من الدول. ولقد رأينا كيف أن كل دولة تسعى ليكون لها واجهة بحرية، وأن الدول تصنَّف على أساس واجهتها البحرية، ما بين دولٍ

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١١٤.
[٢] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ١١٥.

حبيسة ودول مطلة على واجهة بحرية أو أكثر وودول شبه جزرية ودول جزرية تكون كل حدودها مائية.

وفيما خصَّ الدول المطلة على البحار، رأينا بأنه ليس هناك معيار محدد حول تناسب حجم الدولة مع واجهتها البحرية، إذ نجد دولاً متناهية الصغر هي دول ذات واجهة بحرية عريضةً نسبة لمساحته كحالة لبنان والبحرين (دولة جزرية)، بينما نجد دول كبيرة واجهتها البحرية ضيقة جداً مثل العراق.

وإذ تعرض الجغرافيا السياسية لهذا الواقع، إلا أن الاهتمام هو بمعالجة الإشكالية الناجمة عن تحديد مدى ملكية الدولة للبحار الواقعة أمام شواطئها، وما ينجم عنه من تعيين من له الحق أو الصلاحية لاستغلال الثروات البحرية أو اعطاء الإذن بالعبور وتسهيل مرور السفن البحرية. وتزداد مشكلات الدول المطلة على البحر في حال توجهها لاستغلال ثرواته بخاصة إذا كانت من الدول الفقيرة في مواردها الأرضية، وكانت الدول الكبرى أو القوية تفرض هيمنتها على البحار كما كان سائداً في العصور الوسطى، حيث هيمنت أسبانيا والبرتغال على المحيط الأطلسي، وبحر الشمال كان تحت سيطرة بريطانيا[1].

وبسبب أهمية البحار واتساعها لتشمل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، كان لا بد من وجود قانون خاص ينظِّم السيطرة على البحار واستغلال ثرواته وتحديد ملكيته وأصول المرور في البحار، فظهر قانون البحار، الذي يُعدُّ فرعاً من فروع القانون الدولي العام.

في القرن السابع عشر، وضع الفيلسوف الهولندي غروسيوس (Grotius) نظرية أن البحر ملك للجميع، وأن السيادة على المناطق البحرية تكون للدولة المشرفة على البحر وبحدود ومسافة محدودة. ودعا إلى وجوب تحرير البحار من الخضوع لسيادة أي دولة من الدول، مستنداً إلى أن البحر غير قابل للحيازة الفعلية، وأن البحار لا تنضب مواردها وهي متجددة باستمرار وتكفي الجميع.

---

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٠٥.

وبمقابل هذه النظرية برز رأي معارض يدافع عن إبقاء البحار خاضعة للسيادة الوطنية للدول التي تستطيع أن تفرض سيادتها عليها. وبعد صراع طويل بين المدرستين استقر مبدأ حرية البحار وأصبح قاعدة من قواعد القانون الدولي العام المسلم بها من كافة دول العالم. لكن مجال هذا المبدأ يختلف بحسب مناطق البحار، حيث جرى التمييز بين ثلاث مناطق من البحار، الأولى تعد بمثابة جزء من إقليم الدولة تمارس عليه سيادتها وتسمى بالبحر الإقليمي، والثانية هي المنطقة التي تمارس عليها الدولة بعض الحقوق والسلطات ولكنها لا تعد جزءاً من إقليم الدول، وتشمل المنطقة المتاخمة والمنطقة الاقتصادية الخالصة والامتداد القاري، والثالثة تخرج عن سيادة الدولة بصفة كاملة ولا تمارس عليها الدولة أية اختصاصات أو سلطات وتسمى بأعالي البحار.

أولاً: منطقة أعالي البحار

تشمل أعالي البحار جميع المياه المحيطة باليابسة، باستثناء المنطقة الضيقة التي يتصل بها البحر بالأرض، فهي كل أجزاء البحار والمحيطات التي لا تدخل في البحر الإقليمي أو المياه الداخلية لدولة من الدول، والتي يكون لكل الدول الحق في استعمالها على قدم المساواة[١].

لم يستقر مبدأ حرية البحار كقاعدة من قواعد القانون الدولي إلا في القرن التاسع عشر، أما قبل ذلك، فقد كانت كل من الدول البحرية تدعي السيادة على الأجزاء من أعالي البحار المقابلة لشواطئها. فادعت روما سيادتها على البحر المتوسط، وأدعت البندقية السيادة على بحر الأدرياتيك، وادعت البرتغال السيادة على بحار غربي أفريقيا ومنعت السفن من الملاحة فيها، وادعت أسبانيا السيادة على القسم الجنوبي من المحيط الأطلسي، وبريطانيا السيادة على القسم الشمالي من بحر المانش.

---

(١) علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- منشورات منشأة المعارف بالاسكندرية- الطبعة السابعة عشر ١٩٩٧ ص٣٧٦.

وكان الوضع القانوني للبحار العالية يتراوح بين مبدأ تبعيتها لبعض الدول ومبدأ حريتها الكاملة، ولقد انتهي النزاع بانتصار مبدأ حرية الملاحة في البحار العالية الذي استند للاعتبارات الآتية[١]:

- الأول: يرى أن البحار العالية هي مال مباح أو لا ملك له، وهي بطبيعتها غير قابلة للتملك، لأنه ليس بوسع أي دولة مهما بلغت قوتها أن تسيطر على البحر سيطرةً تامة.
- الثاني: أن أعالي البحار هي من أهم طرق المواصلات الدولية، لذا يجب أن تبقى مفتوحة لمراكب جميع الدول، لأن اقول بغير ذلك سيؤدي إلى عرقلة الملاحة الدولية، وسيجعل سفن دولة خاضة لسلطان الدول الأخرى.
- الثالث، لا فائدة من إخضاع أعالي البحار لسيادة دولة أو بضعة دول، لأن حاجة الدول جميعاً إليها واحدة، كما أن اشباع دولة ما لحاجاتها منها لا يضرُّ بالدول الأخرى، لأن موارد أعالي البحار لا تنضب وانتاجها يتجدد باستمرار.

وقد ترتَّب على مبدأ حرية أعالي البحار النتائج الآتية[٢]:

١. حرية الملاحة في أعالي البحار: فالدول فيما يتعلق بحرية الملاحة في أعالي البحار متساوية بغض النظر عن مواقعها الجغرافية واتصالها المباشر أو غير المباشر بالبحار، ويجب أن يكون لكل سفينة علم يدل على جنسيتها لمعرفة الدولة التي تتبعها والرجوع إليها عند الاقتضاء. وينبني على حق الجميع الدول بلا استثناء في حرية الملاحة في أعالي البحار أن الدول التي ليس شواطئ تطل على البحار التي تمنحها على أساس التبادل، حرية المرور في إقليمها.

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٣٧٩.
[٢] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص٣٨٠.

٢. حرية الطيران:للطائرات التابعة لأية دولة سواء كانت عامة أو تجارية أو خاصة أن تطير عبر أعالي البحار وعلى أي ارتفاع كان ولكن عليها التقيد بالقانون والتعليمات التي تصدرها كل دولة تنظيماً لطائراتها وخطوطها الجوية وما تفرضه الاتفاقات الدولية التي أبرمت بغرض تأمين سلامة الطيران.

٣. حرية وضع الكابلات وخطوط الأنابيب: أي أن لكل دولة حق مد كابلات الاتصالات البحرية، وأنابيب النفط في أعالي البحار، لكن بشرط أن لا تلحق بتصرفها ضرراً بكابلات وأنابيب الدول الأخرى، وكذلك بأن تعاقب كل من يقدم من رعاياها أو سفنها على التسبب في هذا التلف أو الضرر.

٤. حرية صيد الأسماك: فالصيد في أعالي البحار مباح لجميع الدول كنتيجة لحرية هذه البحار ولكن يجب على سفن كل دولة عند ممارستها لهذا الحق ألا تسبب لغيرها أية مضايقات أو عراقيل أمام سفن الدول الأخرى التي تقوم بالصيد في نفس المنطقة وألا تستخدم وسائل من شأنها أن تؤدي إلى انقراض الأسماك في هذه المنطقة.

٥. حرية البحث العلمي، وتعني حق كل دولة في أن تجري في أعالي البحار من الأبحاث والتجارب العلمية ما تشاء بشرط التقيد بأحكام قانون البحار.

إلا أن قاعدة حرية أعالي البحار ليس مطلقة بل ترد عليها بعض القيود، حيث يجوز أن تخضع السفينة لاختصاص دولة أخرى غير الدولة التي تحمل جنسيتها وترفع علمها، إذا تبين أن هذه السفينة تخرق قانون حظر نقل الرقيق، أو لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات، أو لمكافحة القرصنة البحرية، لأن القرصنة تعتبر جريمة بحرية موجهة ضد الجماعة الدولية بأسرها ولذلك اعتبر القرصان مجرداً من الجنسية وليست له حقوق تحميه. ومن حق أي دولة في أعالي البحار أو في أي مكان آخر خارج ولاية أية دولة أن تضبط

أن سفينة أو طائرة قرصنة ما، أو أية سفينة أو طائرة أخذت بطريق القرصنة، وكانت واقعة تحت سيطرة القرصنة وأن تقبض على من فيها من أشخاص وتضبط ما فيها من ممتلكات، ولمحاكم الدولة التي قامت بعملية الضبط أن تحاكم هؤلاء القراصنة وتفرض العقوبات بحقهم[١].

ثانياً: المنطقة المتاخمة والجرف القاري

١- المنطقة المتاخمة

المنطقة المتاخمة هي منطقة من أعالي البحار تجاور مباشرة البحر الإقليمي للدولة الشاطئية وتباشر عليها بعض الاختصاصات في الشؤون الاقتصادية والمالية والجمركية والصحية، كما يكون للدولة ممارسة بعض السلطات عليها من أجل المحافظة على أمنها على حيادها في حالة الحرب.

سلَّم الفقه الدولي بصفة عامة بمبدأ المنطقة المتاخمة كنتيجة حتمية للحاجة إلى حماية المصالح المادية والجمركية للدول البحرية، ومن ثم فإن المنطقة المتاخمة أصبحت نظاماً من أنظمة القانون الدولي العرفي قبل أن تدخل دائرة القانون الوضعي بتوقيع اتفاقية البحر الإقليمي والمنطقة المتاخمة.

أما المنطقة الاقتصادية الخالصة فتمتد إلى مسافة ٢٠٠ ميل بحري مقيسة من خطوط الأساس الذي يبدأ منها قياس البحر الإقليمي من إحدى أوجه التطور الهامة التي استحدثتها اتفاقية البحار الجديدة من أجل تحقيق التوازن بين مختلف المصالح، كما أنها تعد أحد الخطوط الهامة على سبيل إعادة تنظيم القسم الوطني من البحر في مقابل

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٣٨٦.

البحر العام الذي تتعاون مجموعة من الدول إلى التوصل إلى أفضل وسيلة لاستغلاله في صالح شعوب العالم بصفة عامة.

للدولة الساحلية حق فرض استكشاف الموارد الطبيعية الحية وغير الحية المتجددة فيها وغير المتجددة في هذه المنطقة واستغلال هذه الموارد وإدارتها، مع السماح لرعايا الدول الأخرى بالصيد في المنطقة الاقتصادية في حالة عدم امتلاك الدولة الساحلية للقدرة على جني كمية الصيد المسموح لها

ولها الحق في إنشاء الجزر الصناعية والمنشآت والأبنية واستخدامها وهو حق تنفرد به وتكون لها الولاية الكاملة على ما تقوم بإنشائه منها،

أما بقية الدول، فلها أن تمارس حرية الملاحة في المنطقة الاقتصادية بالإضافة إلى حق التحليق في الفضاء الذي يعلوها، وكذا إرساء الأسلاك ومد الخطوط الأنابيب وغير ذلك.

تحكم المنطقة الاقتصادية الخالصة قاعدة المائتي ميل بحر كامتداد لنطاقها، وتقاس المائتا ميل من خطوط قياس البحر الإقليمي، وبالنسبة للدول المتقابلة أو المتجاورة يتم تعيين حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة عن طريق الاتفاق استناداً إلى القانون الدولي، وإذا تعذر الوصول إلى اتفاق خلال فترة معقولة، تلجأ الدول إلى أساليب تسوية المنازعات التي نصت عليها الاتفاقية.

٢- الجرف القاري:

يعرَّف الجرف القاري بأنه قاع البحر وما تحته من المساحة الممتدة تحت الماء المجاورة للشاطئ خارج نطاق البحر الإقليمي حتى عمق مائتي متر أو إلى أبعد من ذلك متى كان عمق المياه يسمح باستغلال الموارد الطبيعية للمساحة المذكورة. تباشر الدولة

الساحلية حقوق السيادة على الجرف القاري بقصد اكتشافه واستغلال موارده الطبيعية. وتكون الحقوق التي تكتسبها الدولة الساحلية حقوق خاصة لا يجوز للغير المطالبة بها من غير موافقة صريحة من دولة الساحل.

وتشمل الموارد الطبيعية المعادن وغيرها من الموارد الحية الكائنة في قاع البحر أو تحته.

ويتمدد نطاق هذه الحقوق باكتشاف واستغلال موارده الطبيعية مع ما يتبع ذلك من إقامة المنشآت وتشغيل الأجهزة الضرورية لمباشرة هذه العمليات، ولكل دولة ساحلية الحق في أن تقيم مناطق أمن وسلامة حول ما تبنيه من منشآت أو تضعه من أجهزة، وتمتد هذه المناطق إلى مسافة ٥٠٠ متر حول المنشآت والأجهزة وعلى سفن الدول احترام هذه المناطق أثناء عبورها في أعالي البحار.

والمقصود باستغلال الموارد الطبيعية في منطقة الامتداد القاري هو مصادر الثروة المعدنية في قاع البحر وتحت القاع، والمصادر غير الحية الأخرى الكائنة في قاع البحر وباطن الأرض والأحياء المائية من الفصائل الثابتة المستديمة وغير المتحركة، أما الأسماك والموارد الحية المتحركة فلا تدخل في نطاق الموارد الطبيعية التي يكون للدولة السياحية حق الإنفراد باستغلالها في منطقة الامتداد القاري.

رأت بعض الدول أن تبني فكرة المنطقة الاقتصادية الخالصة يعني عملاً إلغاء فكرة الامتداد القاري على أساس أن هذا الامتداد سيعتبر جزءاً من المنطقة الاقتصادية لأنه واقع داخله، وعلى العكس من ذلك ذهب البعض الآخر إلى ضرورة الإبقاء على فكرة الامتداد القاري مع إعادة النظر في معيار تحديده نظراً لعدم الدقة والتناقض في المعيارين اللذين أخذت بهما اتفاقية عام ١٩٥٨، ومع ذلك فقد كان هناك شبه إجماع في الآراء بين أعضاء المؤتمر على ضرورة استمرار اعتبار المياه التي تعلو الامتداد

القاري فيما يجاوز البحر الإقليمي أو مياه المنطقة الاقتصادية الخالصة جزءاً من أعالي البحار.

يشمل الامتداد القاري قاع وباطن أرض المساحات المغمورة التي تمتد إلى ما وراء البحر الإقليمي للدولة الساحلية في جميع أنحاء الامتداد الطبيعي لإقليم الدولة البري حتى الطرف الخارجي للحافة القارية، أو إلى مسافة ٢٠٠ ميل بحري من خطوط الأساس للبحر الإقليمي إذا لم يكن الطرف الخارجي للحافة القارية يمتد إلى تلك المسافة.

ثالثاً: البحر الإقليمي

البحر الإقليمي، ويسمى بالمياه الإقليمية هي البحار التي تلاصق شواطئ الدولة، وتمارس الدولة عليها سيادة كاملة، وخضوع المياه المجاورة لإقليم الدولة لسيادة هذه الدولة تجد سندها في المصالح الحيوية التي تشكلها هذه الشواطئ، سواءً لجهة للدفاع عن حدودها الساحلية وتأمين الملاحة نحو موانئها، أو لمراقبة أعمال التهريب ومنعها للمحافظة على اقتصادها الوطني. أو للمحافظة على مصالح مواطنيها في الصيد في الإقليم البحري، أو لمراقبة السفن التي تتجه نحو شواطئها لمنع اقتراب من يحمل أوبئة تجنباً لانتقال العدوى إلى إقليمها[١].

١- طبيعة حق الدولة على البحر الإقليمي

انقسم الشراح في تحديد طبيعة حق الدولة على بحرها الإقليمي إلى فريقين، يرى الأول منهما أن البحر الإقليمي يعتبر امتداداً لإقليم الدولة، بينما يرى الفريق الثاني بأن البحر الإقليمي هو قسم من أعالي البحار، ولا يعتبر ملكاً للدولة وإن كان لها بعض الحقوق والاختصاصات عليه.

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٣٩٤.

أما اليوم، فهناك إجماع في الفقه واستقرار في أحكام القانون الدولي المعاصر على أنه البحر الإقليمي هو قسم من إقليم الدولة الشاطئية تغمره المياه، وهو لا يختلف من حيث طبيعته القانونية عن أي قسم آخر من أقسام الدولة وعلى ذلك فإن البحر الإقليمي يجب أن يخضع لذات النظام القانوني الذي يخضع له إقليم الدولة ويترتب على ذلك أيضاً أن نطاق سيادة الدولة على بحرها الإقليمي يشمل السيادة على قاع هذا البحر إلى ما لا نهاية في العمق ويشمل أيضاً السيادة على طبقات الجو والهواء التي تمتد فوق سطحه إلى ما لا نهاية في الارتفاع.

لكن حقوق الدولة في مياهها الإقليمية، ليست مطلقة بل هي مقيدة بوجوب أن تأتي متوافقة مع أحكام القانون الدولي ولا سيما قانون البحار، ولقد فرض هذا القانون جملة قيود على سيادة الدولة على بحرها الإقليمي، وهي قيود ترتبها اعتبارات سياسية وجغرافية وأقرها العرف الدولي وتتلخص فيما يلي[1]:

- حق المرور البريء: استقر العرف الدولي على أن تكون البحار الإقليمية مفتوحة لمرور السفن التابعة لجميع الدول، ما دام عبورها يتسم بالبراءة ولا ينطوي على إهانة للدولة الشاطئية أو على الإضرار بمصالحها، والمرور لبريء ليس رخصة بل هو حق ثابت ترتب عن طريق العرف بين الدول وعن طريق العمل والقضاء الدوليين وأساس ذلك هو الحق الثابت لكل أعضاء الأسرة الدولية في الاتصال بعضهم بالبعض الآخر، وللمرور البريء وفقاً لاتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٨٢ هو عبور البحر الإقليمي على صورة من إحدى الصور التالية:
  - عبور إقليمي في اتجاه أحد موانئ الدولة.

---

[1] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٠١.

- الاتجاه منها إلى أعالي البحار.
- المرور في المياه الإقليمية في محاذاة الشاطئ للاتجاه إلى مياه دولة أخرى مجاورة.
- لابد أن يكون المرور متواصلاً وسريعاً، وإن كان في الإمكان الوقوف أو الرسو في المياه الإقليمية في الحدود التي تستلزمها الملاحة العادية أو إذا اقتضت ذلك قوة قاهرة أو تعرضت السفينة لمحنة، أو حين يكون لغرض تقديم المساعدة إلى أشخاص أو سفن أو طائرات في حالة خطر أو شدة.

تملك الدولة الساحلية كلما اقتضت ذلك سلامة الملاحة أن تفرض على السفن الأجنبية التي تمارس حق المرور البريء خلال بحرها الإقليمي، استخدام الممرات البحرية واتباع حركة المرور التي قد تعينها أو تقررها لتنظيم مرور السفن، ويجوز بصفة خاصة أن تفرض على الناقلات والسفن التي تعمل بالطاقة النووية والسفن التي تحمل مواد خطرة أن تقصر مرورها على تلك الممرات البحرية.

يجوز في بعض الحالات وقف المرور مع توافر جميع عناصر البراءة ولكن ضمن القيود التالية:

- أن تقرره الدولة الشاطئية بصفة مؤقتة لا دائمة.
- أن يكون الوقف في مناطق مخصصة من البحر الإقليمي لا في البحر الإقليمي كله.
- أن يكون عاماً دون تمييز.
- أن يكون جوهرياً لحماية أمن الدولة.

- أن تعلن عنه الدولة وتنشر عنه، ولا ينفذ الوقف إلا بعد الإعلان والنشر.
- لا يجوز الوقف في المضايق التي تستعمل في الملاحة الدولية إذا كان المضيق يصل بين البحار العالية أو البحر الإقليمي لدولة أجنبية.

– سلطان الدولة على السفن الأجنبية في بحرها الإقليمي: إن سيادة الدولة على البحر الإقليمي تقتضي ممارسة اختصاصها التشريعي والقضائي عليه، ولكن هذا الكلام يرد عليه قيد حيث لا يمتد هذا الاختصاص إلى السفن الأجنبية الموجود في البحر الإقليمي والتي يكون عبورها بريء.

٢– تحديد المياه الإقليمية:

انطلاقاً من نظرية الفيلسوف الهولندي غروسيوس (Grotius) بأن البحر ملك للجميع، كانت السيادة على المناطق البحرية للدولة المشرفة على البحر بحدود ومسافة محدودة، وكان الاقتراح الأول، بأن المياه الإقليمية يجب أن لا تقل عن ١٠٠ ميل بحري، وفي العام ١٧٠٣ اقترح بينكر شوك (B. Shook) أن يكون عرض المياه الإقليمية ضمن حدود مرمى المدفعية الساحلية للدولة. ومنذ العام ١٧٨٣ اعتمد مبدأ أن يكون عرض المياه الإقليمية ثلاثة أميال بحرية، وقد لاقى هذا المبدأ استحسان وقبول معظم الدول البحرية، وإن كانت بعض الدول قد زادت المسافة لتصل إلى ٤ أو ٦ أو ١٠ أو ١٢ ميلاً بحرياً (الميل البحري يساوي ١٨٥٠ متراً).

ومن هنا نجد أن الدول قد اختلفت في تحديد عرض مياهها الإقليمية، فالدول الكبرى التي تمتلك قدرات بحرية، ترى أن المياه الإقليمية للدول يجب أن لا تتعدى الثلاثة أميال بحرية،

وبالمقابل فإن الدول الفقيرة ترغب في توسيع مياهها الإقليمية لتكون ملاذاً احتياطياً واستراتيجياً لها.

ومن أهم أسباب تباين وجهات نظر الدول حول عرض المياه الإقليمية هو اكتشاف موارد معدنية (بترول وغاز ورصاص ونحاس) في منطقة الرصيف القاري، لذا سعت الدول الكبرى لوضع حد واضح لملكية الدول من المياه الإقليمية. ولهذه الغاية عقدت عدة مؤتمرات إقليمية أهمها مؤتمر لاهاي في العام ١٩٣٠، ثمَّ مؤتمر جنيف عام ١٩٥٨ الذي أقرَّ بوجود المياه الإقليمية للدول ولكن دون تحديد رقم محدد لاتساع المياه الإقليمية، وفي العام ١٩٧١ عُقِد مؤتمر البحار في كاراكاس بغية تحديد عرض المياه الإقليمية، وقد طالبت نحو ٥٥ دولة بأن يكون عرض المياه الإقليمية ١٢ ميلاً بحرياً، بينما طالبت ٢٧ دولة بأن يكون عرض هذه المياه ٣ أميال بحرية، وطالبت دول أخرى مطلة على أكثر من بحر، بأن يكون عرض مياهها الإقليمية متفاوتاً، فمثلاً طالبت تركيا أن يكون عرض مياهها الإقليمية في البحر الأسود ١٢ ميلاً بحرياً، وأن يكون عرض مياهها الإقليمية في البحر المتوسط ٦ أميال بحرية. وطالبت دول أميركا اللاتينية (مثل: تشيلي، الأرجنتين، البرازيل، البيرو) والصومال أن يكون امتداد المياه الإقليمية ٢٠٠ ميلاً بحرياً، أما الدول الاسكندنافية (السويد والنروج وفنلندا) فحددت مياهها الإقليمة بـ ٤ أميال بحرية، أما اسبانيا والبرتغال وإيطاليا فحددت مياهها الإقليمة بـ ٦ أميال بحرية، ومصر والدول العربية بـ ١٢ ميل بحري[١].

وفي العام ١٩٨٢ انعقد مؤتمر قانون البحار في جاميكا، وأقرَّ مبدأ حرية كل دولة باختيار وتحديد عرض مياهها الإقليمية، وأعطت لكل دولة الحق في استثمار قاع البحار العليا أي البحار المفتوحة، واستخراج الثروات المعدنية، أي أن هذه البحار العليا هي مشاع لجميع دول العالم.

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٠٨.

وهكذا وضعت هذه الاتفاقية للقاعدة التالية: لكل دولة الحق في ان تحدد عرض بحرها الاقليمي بمسافة لا تتجاوز ١٢ ميلاً بحرياً تبتدئ من "خطوط الاساس" المقررة في هذه الاتفاقية. وبالتالي وفقاً لهذه الاتفاقية نرى انه يحق لكل دولة ان تحدد مساحة مياهها الاقليمية كما تشا شرط الا تتجاوز في اي حال من الاحوال مساحة ١٢ ميلاً بحرياً، ويتم قياس مسافة الـ ١٢ ميلاً بحرياً انطلاقاً مما يسمى "بخطوط الاساس". وخطوط الاساس هذه تبدأ من آخر نقطة تنحسر عنها مياه الجزر، اما بالنسبة للدول التي تتميز سواحلها بالتعاريج والنتوات فيتم احتساب خطوط الاساس فيها من خلال القيام بمد خطوط مستقيمة تصل بين هذه النتوات، واعتبار هذه الخطوط "خط الاساس" الذي يبدأ منه قياس البحر الاقليمي. وهنا نشير الى ان لبنان حدد مياهه الاقليمية باثني عشر ميلا بحرياً، اي بحدود العشرين كيلومتراً.

ومهما كانت المشكلات التي ثارت حول عرض المياه الإقليمية، فإن معظم الدول عمدت إلى تعيين هذه المياه ما بين ٣ و١٢ ميلاً بحرياً، مع حق الدولة بأن تنشئ منطقة اقتصادية خالصة، وهي منطقة تتحدد في حدود ٢٠٠ ميل بحري من خط الساحل ويكون للدولة مصالح اقتصادية وحيوية بها كاستخراج الموراد المعدنية أو صيد الأسماك. وتظهر هنا مشكلة إذا تداخلت حدود هذه المنطقة الاقتصادية مع حدود دولة مجاورة[١].

وعن كيفية احتساب عرض المياه الإقليمية، فتتباين الآراء بشأن تحديد المياه الإقليمية ويمكن إيجازها بالبنود الآتية:

١. تحدد المياه الإقليمية برسم خط يوازي خط الشاطئ في تعاريجه، ويمتد بعرض المسافة التي حددتها الدولة لمياهها الإقليمة. وتصلح هذه الطريقة للدول ذات السواحل قليلة التعرج مثل سواحل افريقيا (رقم ٥٩: خارطة أفريقيا).

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٠٩.

٢. تحدد المياه الإقليمية بخطوط مستقيمة تقابل الخطوط الممتدة من الرؤوس البحرية البارزة من اليابسة، وبحسب هذه الطريقة المصبات والبحيرات الساحلية تدخل ضمن نطاق اليابسة.

٣. تحدد المياه الإقليمية بعد رسم خط مقوَّس يلتقي بخطوط رأسية بطول اتساع البحر الإقليمي على أن تقاس بين أجزاء مختلفة من الساحل بما في ذلك الأجزاء البارزة. وتفضل كثير من الدول اعتماد هذه الطريقة ومن أمثلتها لبنان (رقم ٦٠: خريطة لبنان).

٤. في حال وجود جزر واقعة ضمن حدود المياه تكون هذه الجزر جزءاً من إقليم الدولة، ويضاف إليها شريط آخر من المياه الإقليمية. أما إذا كانت الجزر خارج نطاق المياه الإقليمية فتحسب لها حدود أخرى للمياه الإقليمية، بحيث تفصل بينها وبين مياه الدولة الإقليمية مياهاً دولية.

٥. في حال كان على شاطئ الدولة خليج فيحتسب البحر ابتداءً من الخط الموصل بين طرفي فتحة الخليج إذا كان هذا الخليج من المياه الإقليمية للدولة. أما إذا كان الخليج واقعاً بين أكثر من دولة، فإذا كان عرض الخليج يزيد عن عرض المياه الإقليمية للدول المطلة عليه، عدَّت هذه الزيادة من المياه الدولية. أما إذا كان عرضه أقل فتمتد سيادة كل دولة على جوانبه إلى منتصفه.

٦. إذا كان هناك نهر يصب مباشرة في البحر فإن خط الأساس الذي منه قياس البحر الإقليمي يكون خطاً مستقيماً عبر مصب النهر بين نقطتين على حد أدنى الجزر.

٧. عندما تكون سواحل دولتين متقابلة أو متلاصقة، لا يحق لأي من دولتين، في حال عدم وجود اتفاق بينهما على خلاف ذلك، أن تمد بحرها الإقليمي إلى أبعد من الخط الوسط الذي تكون كل نقطة عليه متساوية في بعدها عن أقرب النقاط على خط الأساس الذي يقاس منه عرض البحر الإقليمي لكل من الدولتين، غير أن هذا

الحكم لا ينطبق حيث يكون من الضروري بسبب سند تاريخي أو ظروف خاصة تعيين حدود البحر الإقليمي لكل من الدولتين بطريقة تخالف هذا الحكم.

رابعاً: الممرات البحرية

الممرات البحرية هي إما مضائق بحرية أو قنوات بحرية.

١- المضيق[١]:

هو عبارة عن مياه تفصل بين جزئين من اليابسة وتصل بين بحرين، ويشترط فيه أن يكون متكوّناً بصورة طبيعية وليس اصطناعية، وأن يكون محدود الاتساع، وأن يصلح للملاحة الدولية المتجهة إلى غير موانئ سواحل ذلك المضيق.

حيث يمثِّل المضيق قطاعاً ضيقاً من المياه يربط منطقتين بحريتين مختلفتين، فقد يربط بحر بآخر، أو بحر بخليج، أو خليج بمحيط، أو محيط بمحيط. ازدادت الأهمية الاستراتيجية للمضائق مع زيادة حركة السفن العابرة خلاله إلى الأقاليم الجغرافية المتباينة. فالمضائق تلعب دور حلقة الوصل بين المناطق البحرية (رقم ٦٠: خريطة لشكل المضيق– ورقم ٦١ خريطة عامة بالمضائق البحرية في قارتي آسيا وأفريقيا).

في منطقة المضائق، يقترب اليابس على جانبي المضيق بصورةٍ ملحوظة، وقد لا يزيد عرض المضيق عن عشرات الأمتار في بعض الأحيان. وتتجسد أهمية المضائق لكونها نقطة عقدية لطرق الملاحة البحرية بحيث تتجمع عندها طرق الملاحة وتتفرق، ومن ثمَّ كانت المضائق محلاً للصراع ومطمعاً للتحكم من قبل الدول الكبرى. لأن السيطرة على المضيق تعني إغلاق المعبر البحري والتحكم في طرق الملاحة.

---

[١] يراجع: علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٢٥ و فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٢٥.

وقد اختلف الفقه في تحديد اتساع المضيق، وإن كان الرأي الغالب يعتبر وصف المضيق متحققاً إذا كان الاتساع لا يتجاوز عرض البحر الإقليمي عندما يكون واقعاً بين إقليمي الدولتين، أما إذا زاد المضيق عن هذا الاتساع اعتبر جزءاً من أعالي البحار.

تعتبر حرية الملاحة في المضايق المستخدمة للملاحة الدولية من المبادئ المستقرة في العلاقات الدولية، ونصَّت عليها اتفاقية جنيف لقانون البحر الإقليمي في مادتها ١٦ فقرة ٤ بأنه :" لا يجوز وقف المرور البريء للسفن الأجنبية في المضائق التي تستعمل للملاحة الدولية بين جزئين من أعالي البحار أو بين جزء من اعالي البحار والمياه الإقليمية لدولةٍ ما".

فحرية الملاحة في المضائق وقت السلم هي حرية لكل السفن بما فيها السفن الحربية دون حاجة إلى إذن مسبق بالمرور من الدولة الساحلية، على أن تلتزم هذه السفن بأحكام نظام المرور البريء عند عبورها المضيق[١]. فلا يجوز تعطيل استخدام السفن الأجنبية لحق المرور البريء في المضايق التي تصل بين أجزاء من أعالي البحار أو تصل جزءاً من أعالي البحار بالبحر الإقليمي لدولة أجنبية. وهناك عدد كبير من المضايق قد تم تنظيم أمور الملاحة فيها بمقتضى اتفاقيات دولية خاصة نظراً لأهميتها للملاحة الدولية أو مواقعها الإستراتيجية مثل مضيق ماجلان في جنوب أميركا الوسطى. كما استحدث نظام المرور العابر الذي يعرَّف بأنه ممارسة حرية الملاحة لغرض وحيد هو العبور المتواصل السريع في المضيق.

وتتفاوت قيمة المضائق وفقاً لأهمية المناطق المطلة على البحار التي يربطها المضيق، وفقاً لحركة التجارة بين أرجاء موانئ هذه البحار والبحار المجاورة. فموانئ جبل طارق وعدن وسنغافورة هي موانئ ذائعة الصيت لموقعها بالقرب من مضائق بحرية هامة، وفقاً للقيمة الاقتصادية وحركة التجارة بين أرجاء العالم.

---

(١) علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٢٥.

ويختلف حكم المضيق فيما لو كان موصلاً لبحرٍ عام أم لبحرٍ داخلي واقع برمته في إقليم دولة واحدة، إذ يعتبر المضيق في هذه الحالة من المياه الإقليمية لهذه الدولة. أما إذا كان هذا المضيق موصلاً بين بحرين عامين وكان كلا جانبيه في أراضي دولة واحدة، في هذه الحالة تعد مسافة ثلاثة أميال من كل جانب بحر إقليمي، ويكون مرور سفن جميع الدول حراً. ومن أمثلته مضيق البوسفور والدردنيل الواقعين ضمن الأراضي التركية، وقد أثيرت نزاعات عديدة بين تركيا والدول الأوروبية وروسيا فيما خصَّ عبور هذه المضائق، وتحكمت تركيا بهذه المضائق بخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، إذ أقفلتهما كلياً خلال الحرب العالمية الأولى بوجه جميع السفن التجارية والحربية، بينما اقتصر إقفالهما في الحرب العالمية الثانية بوجه السفن الحربية حفاظاً على الواقع الحيادي لتركيا في هذه الحرب[١]. اما إذا كان المضيق يوصل بين بحرين عامين، وكان يفصل بين أراضي دولتين لكل دولة سيادة على الجزء المجاور لها في حدود بحرها الإقليمي، فإنه يكون في كل وقت مفتوحاً للمرور الحر لجميع السفن، ومن أمثلته مضيق باب المندب الذي يقع بين دولتي اليمن ودجيبوتي، ويفصل بين البحر الأحمر وخليج عدن. ومضيق كاليه الذي يقع بين فرنسا وبريطانيا، ويفصل بين بحر الشمال وبحر المانش[٢].

ومن الأمثلة عن المضائق البحرية نذكر مع الخرائط، المضائق الآتية:

١. مضيقي البوسفور والدردنيل بين البحر الأسود والبحر المتوسط، يصل مضيق البوسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة، ويعتبر مع مضيق الدردنيل الحدود الجنوبية بين قارة آسيا وأوروبا، يبلغ طول مضيق البوسفور ٣٠ كم، ويتراوح عرضه بين (٥٥٠ متر و ٣٠٠٠ متر)، وحسب المعتقدات اليونانية القديمة، فإن تسمية

---

(١) علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٢٦.
(٢) ذكرها: فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٢٣ وما يليه.

المضيق تعني ممر البقرة. مياه مضيق البوسفور مصنفة ضمن مجال الملاحة الدولية، وتعتبر حركة السفن بالمضيق واحدة من أهم نقاط الملاحة البحرية في العالم. أما مضيق الدردنيل فيقع بين شبه جزيرة غاليبولي وشاطىء آسيا الصغرى ويصل بحر مرمرة ببحر إيجه، وهو مضيق يبلغ طوله٧٠ كيلومتراً وعرضه يتراوح بين ١٧٠٠ و ١٨٠٠ متراً ويصل عمقه من ٥٠ إلى ٦٠ متراً. اعتنت الدولة العثمانية بعد امتلاكها للقسطنطينية بتحصينه فبنت القلاع على جانبيه حتى أصبح منيعاً يستحيل على أكبر أسطول أن يقتحمه بدون أن يتعرض لأكبر الأخطار. (رقم ٦٣: خريطة مضيقي البوسفور والدردنيل).

٢. مضيق جبل طارق الذي يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي، يقع هذا المضيق البحري بين شبه جزيرة إيبيريا من شمال والساحل الإفريقي من جنوب، ويصل بين مياه المحيط الاطلسي ومياه البحر الأبيض المتوسط .وعلى شواطئ المضيق تقع كل من المغرب و اسبانيا ومنطقة الحكم الذاتي جبل الطارق البريطانية. سمي بذلك لأن القائد طارق بن زياد قد عبره في بداية الغزوات الاسلامية لاسبانيا عام ٧١١م، يبلغ عمق المياه فيه حوالي ٣٠٠ متر، وأقل مسافة بين ضفتيه هي ١٤ كيلومتر. ويعتبر من أهم المعابر البحرية في العالم. وسمي قديما بأعمدة هرقل حيث يروى أنه كانت تقع خلفه قارة أطلانطس الخيالية (رقم ٦٤: خريطة مضيق جبل طارق).

٣. مضيق تيران الذي يربط خليج العقبة بالبحر الأحمر، هو ممر مائي عرضه ٤,٥٠ كم يقع بين شبه جزيرة سيناء و شبه الجزيرة العربية، يتواجد في هذا المضيق جزيرتان هما جزيرة تيران المصرية و جزيرة صنافير السعودية (رقم ٦٥: خريطة مضيق تيران).

٤. مضيق باب المندب الذي يصل البحر الأحمر بخليج عدن و المحيط الهندي، ويفصل قارة آسيا عن قارة إفريقيا. تصل المسافة بين ضفتي المضيق إلى نحو ٣٠ كم من رأس منهالي في الساحل الآسيوي إلى رأس سيان على الساحل الإفريقي. تقطع جزيرة بريم هذا المضيق إلى مضيقين، يُسمى الأول باسم باب اسكندر ويبلغ عرضه ٣ كم، والثاني "دقة المايون" عرضه ٢٥ كم. كما توجد في هذا المضيق بالقرب من الساحل الإفريقي مجموعة من الجزر الصغيرة يطلق عليها الأشقاء السبعة (رقم ٦٥: خريطة مضيق تيران).

٥. مضيق برينغ الذي يفصل بين قارة آسيا وقارة أمريكا، وهو يصل بين بحر برينغ بالمحيط المتجمد الشمالي، تمَّ اكتشاف يعدُّ هذا المضيق من الممرات المائية الواسعة، حيث يبلغ أدنى اتساع له نحو ٦٤ كم، ما بين رأس ديجنيف في روسيا ورأس أمير بلاد الغال في الألسكا(رقم ٦٦: خريطة مضيق برينغ).

٦. مضيق هرمز الذي يربط الخليج الفارسي ببحر العرب والمحيط الهندي، سمي بذلك لتوسطه مملكة هرمز القديمة(**وهي** مملكة عربية قامت في القرن العاشر ميلادي على السواحل الشرقية للخليج الفارسي أشتهرت بالتجارة وبالثراء، وهي الميناء البحري لتجارة منطقة كرمان وسيستان، كانت خيولها تصدر إلى الهند، وظلت على هذا الحال حتى القرن الخامس العشر، حيث يشير اليها الرحالة الايطالي الشهير ماركو بولو بقوله ان هرمز مدينة عظيمة ونبيلة على البحر)، تطل عليه من الشمال إيران ومن الجنوب سلطنة عمان التي تشرف على حركة الملاحة البحرية فيه باعتبار أن ممر السفن يأتي ضمن مياهها الإقليمية. و هو أحد أهم الممرات المائية في العالم وأكثرها حركة للسفن، إذ يعبره ٢٠-٣٠ ناقلة نفط يوميا بمعدل ناقلة نفط كل ٦ دقائق في ساعات الذروة(رقم ٦٧: خريطة مضيق هرمز).

٢- القنوات البحرية

القنوات البحرية هي مضايق صناعية حُفِرت لتوصل بين بحرين حرين تسهيلاً للملاحة والمواصلات الدولية. تدخل هذه القنوات في الملكية الإقليمة للدول التي تخترق هذه اقنوات أراضيها وتخضع لسيادتها كأيّ جزءٍ آخر من إقليمها، وكل ما تثيره من الناحية الدولية هي مسألة الملاحة فيها. ولما كان الغرض من حفر القنوات هو تسيير الملاحة الدولية وتقصير طرق المواصلات وتكلفتها، لذا يتبع ذلك وجوب فتح هذه القنوات أمام السفن التجارية لجميع الدول مع حق الدول باستيفاء رسم المرور من هذه السفن وهذا المبدأ أقرَّته اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨. أما بالنسبة للسفن الحربية، فالأصل أن للدولة صاحبة القناة أن تمنع مرورها فيها، ولكن اقدامها على هذه الخطوة قد يثير حفيظة الدول الكبرى التي تستخدم هذه القنوات لنقل الإمداد العسكري لقواتها خارج الحدود. لذا استقرَّ الرأي أن تسمح الدولة صاحبة القناة بمرور السفن الحربية الأجنبية بشرط ألا تقوم هذه السفن بأي عملٍ حربي في القناة[١]، كمثل استخدام قناة السويس من قبل الأميركيين والأوربيين في نقل العتاد إلى قواتها الموجودة في العراق.

يوجد في العالم عدة قنوات بحرية، منها ما بأهمية دولية مثل، السويس، بنما، كييل:

١. **قناة السويس:** افتتحت في العام ١٨٦٩، وهي تقع ضمن الأراضي المصرية وتربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط، يبلغ طولها نحو ١٠٠،٦ ميلاً (نحو ١٩٠ كم) تولى إدارة هذه القناة بموجب امتياز لمدة ٩٩ عاماً، شركة عالمية يرأسها المهندس الفرنسي دليسبس. وبعد احتلال بريطانيل لمصر في العام ١٨٨٢ عمدت إلى استخدام القناة لقوافلها العسكرية والتجارية بدون أن تدفع أي رسومٍ للشركة المستثمرة. ما دفع الشركة إلى الاحتجاج والمطالبة بوضع نظام للقناة. فأُبرِمت في العام ١٨٨٨ اتفاقية القسطنطينية بين كلٍ من تركيا وبريطانيا وفرنسا

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٢٨.

وبريطانيا وإيطاليا وروسيا وهولندا، وتعتبر هذه الاتفاقية بمثابة دستور قناة السويس الذي ما يزال سارياً ومعمولاً به حتى اليوم. وأبرز بنوده أن تفتح القناة لمرور المراكب التجارية والحربية لجميع الدول في أوقات السلم والحرب، وتتعهد الدول المتعاقجة بألا تقوم بأيّ عملٍ من شانه عرقلة الملاحة في القناة. وبتايخ ٢٦ تموز/يوليو ١٩٥٦ جرى تأميم قناة السويس وعهدت إلى إدارة مصرية مهمة الإشراف على حركة المرور في القناة [١] (رقم ٦٨: قناة السويس).

٢. **قناة بنما:** افتتحت في العام ١٩١٤ وهي تصل المحيط الأطلس بالمحيط الهادي، يبلغ طولها نحو ٥٦،٧١ ميلاً (نحو ١٠٥ كم) تقع ضمن أراضي جمهورية بنما، إلا أنها تخضع لإشراف وإدارة الولايات المتحدة الأميركية، التي قامت بتنفيذ مشروع حفر القناة بموجب اتفاق مع حكومة بنما، أبرم في سنة ١٩٠٣، وبموجبه استأجرت الولايات المتحدة من دولة بنما لمدى الحياة قطعة الأرض التي تمرُّ فيها القناة مقابل مبلغ فوري قدره عشرة ملايين دولار، وأقساط سنوية تبلغ ربع مليون دولار سنوياً. وقد نصَّ الاتفاق على أن تكون القناة وفتحاتها بحالة حياد وتكون الملاحة حرة تخضع لأحكام اتفاقية القسطنطينية المتعلقة بقناة السويس [٢] (رقم ٦٩: قناة بنما).

٣. **قناة كييل:** افتتحت في العام ١٨٩٦ وتصل بحر البلطيق عند ميناء كييل ببحر الشمال يبلغ طولها ٦٠،٩ ميلاً ، تقع في الأراضي الألمانية، كان الهدف من إنشائها لأغراض عسكرية، لكي لا تضطر السفن العسكرية الألمانية من المرور عبر مضائق البلطيق الواقعة ضم أراضي دولة الدانمارك. بعد الحرب العالمية الأولى، اهتمَّ الحلفاء بأمر قناة كييل وأفردوا لها فصلاً خاصاً في معاهدة فرساي

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٣٣.
[٢] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٣٥.

(المواد ٣٨٠- ٣٨٦) ووضعوا نظاماً للملاحة في القناة. وتقرر فتحها للمراكب التجارية والحربية لجميع الدول، وأوجب هذا النظام عدم إخضاع هذه السفن لأي قيود تعرقل مرورها في القناة. وفي العام ١٩٢٣ عرضت أمام محكمة العدل الدولية قضية المركب ويمبليدون وهي سفينة بريطانية كانت تمرُّ في القناة حملة معدات حربية لدولة بولونيا التي كانت في حالة نزاع مع روسيا، فاعترضتها السلطات الألمانية ومنعتها من المرور في القناة، فاحتجت فرنسا وبريطانيا على هذا التصرف، وانتهى النزاع إلى محكمة العدل الدولية التي نقضت الموقف الألماني لأنه وفقاً لنصوص اتفاقية فرساي لا يجوز منع أي سفينة من عبور القناة[١](رقم ٧٠: قناة كييل).

خامساً: الخلجان

الخلجان هي تلك الأجزاء من البحر التي تتداخل في الأرض نتيجةً للتعرجات الطبيعية للساحل، ومن وجهة نظر القانون الدولي لكي يوصف التعريج بوصف الخليج يجب أن يكون قدر تغلغله في الأرض كبيراً نسبةً إلى سعة فتحته بحيث تصبح مياهه محصورة بالأرض ويصبح أكثر من مجرد انحناء عادي للساحل. وقد وضعت اتفاقية جنيف لقانون البحار في مادتها السابعة تعريفاً للخليج البحري، واشترطت لاعتبار تعرجاً ما خليجاً، أن تكون مساحته مساوية على الأقل لنصف دائرة يكون قطرها الخط الموصل بين فتحتي هذا التعرج.

يختلف حكم الخليج تبعاً لما إذا كان واقعاً في إقليم دولة واحدة أو كان واقعاً في أرض أكثر من دولة. فإذا كان الخليج داخلاً في إقليم دولة واحدة، فإنه يعتبر بحكم المياه الإقليمية الداخلية إذا كانت فتحته لا تزيد عن ٢٤ ميلاً بحرياً، وفي حال زيادة المسافة بين نقطتي

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤٣٧.

فتحة الخليج عن هذا القدر، يمد خط داخل الخليج بين نقطتين تكون المسافة بينهما ٢٤ ميلاً ويكون ما بداخلها مياهاً داخلية، أما خارج هذا الخط فهو من أعالي البحار. ويترتب على اعتبار الخليج في حكم المياه الداخلية خضوعه لسيادتها كأي جزءٍ من أجزاء المياه الإقليمية (رقم ٧١: خريطة خليج المكسيك).

أما إذا كان الخليج واقعاً في أرض أكثر من دولة، اعتبر من أعالي البحار فيما عدا المنطقة التي تخضع كبحرٍ إقليمي لسيادة كل من الدول المحيطة بالخليج، إذا كان اتساعه يزيد عن ضعف البحر الإقليمي المتعارف عليه، فإن كان اتساعه يقلُّ عن ذلك امتدت السيادة الإقليمية لكلٍ من الدول الواقعة على جوانبه إلى منتصف الخليج، مع مراعاة حق المرور البريء لكافة السفن (رقم ٧٢: خريطة خليج عدن).

بعض الخلجان التي تشترك فيها أكثر من دولة، تثار كثير من الاعتراضات حول تحديد مياهها. وهذا ما ينطبق على خليج العقبة الذي لا يزيد اتساعه في أوسع مناطقه عن ١٧ ميلاً. ولا يزيد عرض مدخله عن تسعة أميال، وتقع عند مدخله جزيرة تيران المصرية وصنافير السعودية(رقم ٧٣ خريطة خليج العقبة).

وكان هذا الخليج هو السبب للحرب بين مصر واسرائيل في العام ١٩٦٧ بعدما أغلقت مصر مضايق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية، مما أقفل بوجهها طرق الملاحة باتجاه البحر الأحمر انطلاقاً من ميناء إيلات. فرفضت الإدعاء المصري بأن خليج العقبة وهو مياه إقليمية، وزعمت بأنه يعتبر من أعالي البحار نظراً لوجود أكثر من دولة على شواطئه، وبالتلي ليس لمصر أن تغلق مضيق تيران بوجه الملاحة الإسرائيلية. اما الدول العربية فرفضت المزاعم الإسرائيلية لاعتبارات استراتيجة ولضمان سيطرتها على مضيق تيران الذي تعتبره جزءاً من المياه الإقليمة المصرية، ولا يمكن اعتباه من المضايق

الدولية لأنه لا يصل بين بحرين دوليين، ولم تنته المشكلة إلا بعد حرب ١٩٧٣ وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، حيث احتفظت إسرائيل بحق المرور البريء في خليج العقبة[١].

الفصل الثالث:

الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر

تتعدد الوحدات السياسية في هذا العالم ليصل عدد الدول المنضوية في الأمم المتحدة إلى ١٩٢ دولة، أما عدد الدول والوحدات السياسية القائمة فتبلغ ٢٢٠ دولة أو وحدة سياسية، تتباين في مساحاتها وفي حجم كتلتها السكانية، ولهذا التباين ما يبرره بالمتغيرات على الساحة الدولية، حيث تتغير خريطة العالم السياسية، وهو تغيُّرٍ تتفاوت صوره بين تغيُّرٍ بطيء وتغيُّرٍ سريع وفقاً للمتغيرات الدولية المؤثرة في تكوين الدول وتغيُّر حدودها السياسية، ومن ثمَّ فإن خريطة العالم السياسية اليوم، هي ليست ذاتها التي كانت في القرن الماضي، وهي ليست سوى مرحلة من مراحل التطور والتغيُّر المستمر المرتبط بالصراع البشري الذي لن ينتهي فوق سطح الأرض. فخريطة العالم السياسية دائمة التغيُّر إذ دائماً تظهر دول جديدة، أو تزول أخرى باندماجها بدولٍ أخرى، أو قد تنقسم دولة إلى عدة دول، كحالة تفكك الاتحاد السوفياتي وظهور

---

[١] علي صادق أبو هيف- القانون الدولي العام- مرجع سابق ص ٤١٥.

جمهوريات آسيا الوسطى، وجمهوريات جديدة في شرق أوروبا. ومن الأمثلة عن المستجدات في الخارطة الدولية، يمكن أن نذكر إعلان استقلال إقليمي أبخازيا واوسيتيا الجنوبية عن جمهورية جورجيا، واعتراف موسكو وفنزويلا بهذا الاستقلال، فإذا نال هذان الإقليميان الاعتراف الدولي، فقد يصبحا دولتين مستقلتين في الخارطة العالمية. وكذلك هناك بوادر عن احتمال إجراء استفتاء شعبي لانفصال جنوب السودان، وإذا تحقق هذا الأمر ستظهر دولة جنوب السودان على الخارطة الدولية.

وتعدُّ التغيرات السياسية التي شهدتها خريطة العالم السياسية في القرن العشرين خير دليل على عمق التغيرات السياسية الضخمة فوق أرجاء قارات العالم القديم، فقد تغيَّرت خريطة أوروبا بعد زوال الأمبرطوريات التي كانت سائدة في العصور الوسطى، ثمَّ أُعيد رسم الخريطة السياسية لها بعد أن انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا وإيطاليا. وكذلك تغيَّرت خريطتا أفريقيا وآسيا بعد تحرر معظم أقاليمها من الاستعمار الأوروبي.

وتتوزع الدول بين قارات العالم بصورة غير متناسقة، فأوروبا هي من القارات الصغيرة ولكن فيها عدد كبير من القوميات والدول (٤٤ دولة)، وأميركا الشمالية التي توازي مساحتها مساحة أوروبا فيها دولتين فقط، كما أن قارة أفريقيا التي لا تعد من أكبر القارات إلا أنها من أكثر القارات تفتيتاً وتقسيماً، وفيها أكبر عدد من الدول ٥٦ دولة، والرقم إلى تصاعد. وفي أمريكا الوسطة ومنطقة الكاريبي تكثر الوحدات السياسية القزمية، وتضمُّ نحو ٢٥ دولة. وفي قارة أوقيانيا توجد ١٣ دولة أكبرها استراليا التي تبلغ مساحتها نحو ٨٧% من مساحة هذه القارة[١]. وكذلك الحال مع القارة الأسيوية التي تبلغ مساحتها نحو ربع مساحة القارات الأربعة الأخرى، إلا أنها تضمُّ نحو أكثر من نصف سكان العالم.

لذا عند دراسة خريطة العالم السياسية، يقتضي أن نضع بالاعتبار أن هذا التغيُّر هو نتاج لتغيُّر الحدود السياسية، لذا كان من الواجب دراسة أثر التغيرات السياسية على تغيُّر أشكال الدول واحجامها واقتصادياتها، وكذلك دراسة القوميات وتوسعها وانتشارها وانكماشها خلف

---

[١] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٠ ص ٢٣٢.

الحدود السياسية، ومن خلال هذه الدراسة سيجري التعرف على مناطق الاستقرار أو عدم الاستقرار وإثارة المشكلات فوق بقاع العالم سواءً اكان داخل الدولة أو في جزء منها[1]. وهذا ما يتيح لنا إدراك أن سلام واستقرار العالم مرتبط بالحدود السياسية، أو بالمعنى الأعم، الجغرافيا السياسية.

[1] فايز العيسوي - الجغرافيا السياسية المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٢٩.